المشروع الوطني

الكتاب الأول



السلام
مفاهيم وقيم

تأليف

سماحة المرجع الديني آية الله الفقيه

السيد حسين السيد إسماعيل الصدر دام ظله

المشروع الوطني

الكتاب الأول

السَّلاَمُ

مَفَاهِيْمُ وَ قِيَم

تأليف

سماحة آيةُ الله الفَقيْه

السَّيِّد حُسين السَّيِّد إسْماعِيل الصَّدْر

-دام ظله-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين
وأصحابه المنتجبين

مُقدِّمة

ترتكز رؤى سماحة المَرجِع الصدر (دام ظلُّه)، ومنطلَقاتُه الفِكرية لِمفهوم (السلام)، من خلال مُتطلَّبات الواقع الإنساني للسلام.

وباعتبار (السلام)، هو الموضوع الأكثر ضرورة، لإرساء مُتطلَّبات بناء الإنسان (كمواطن)، وبناء الوطن (كمستقرٍّ جغرافي للإنسان)، لذا يجب أن يكون (السلام)، مبنيَّاً على أُسس متينة، ودعائم راسخة من الطمأنينة والاستقرار، لِتكتملَ مهمَّة البناء الحضاري للإنسان.

وبالسلام تَستَقيم أُسُس التطوُّر، في كافَّة مَناحي الحياة الإنسانيَّة، لِتخدمَ الإنسان معنويَّاً وماديَّاً. لذا فسماحة المَرجِع الصَّدر (دامت توفيقاتهُ)، يُولِي اهتماماً كبيراً، بمُتطلَّباتِ هذا الموضوع الأساس والحسَّاس.

ويَرى سماحتهُ (دامَ عزُّه)، أنَّ بدون (السلام)، لا يمكِن للمجتمع، المُضِيُّ قُدُماً، لتحقيق مبادئ التقدُّم والازدهار، عند أَيِّ شعبٍ كان. ومن خلال هذا الفَهْم العميق، لمُتطلَّبات بناء الإنسان والوطن، عَكَفَ سماحتهُ (دامت بركاتُهُ)، بإطلاق (المشروع الوطني)، الذي يَتَبَنَّى إصدار سلسلة من الكُتُب، تبحث في هذا الموضوع الحسَّاس، ومواضيع أُخرى مُتعلِّقة به.

وأوَّلُ كتابٍ من هذه السلسلة، هو كتاب (السلام مفاهيم وقِيَم)، وسيكون الكتاب الثاني بعنوان (السلام من منظور تطبيقـــي)، أمَّـــا الكتاب الثالث، فسيحمل عنوان (السلام في مدرسة الإسلام)، ثمَّ يلي ذلك كُتُبٌ أُخرى... وَاللهُ (تَعَالَى) من وراءِ القَصْد.

تمهيـد

نرى إسلامنا الحبيب يُؤكِّد وبصورٍ متعدِّدة على أهمَّية السلام: فمرة يُؤكِّدهُ قرآنياً، ومرة يؤكِّده في الأحاديث الشريفة، ومرة يُؤكِّده في الروايات المباركة.

فالإسلام الحبيب يُؤكِّد على أهمَّية السلام، وأنَّ مُقوِّمات بناء المجتمع تعتمد على الأُسس التالية:

١. علاقات اجتماعية مَبنيَّة على سلوك السلام.

٢. يستند المجتمع في تكوينه على ثقافة السلام.

٣. أن يكون السلوك المجتمعي مُرتكِزاً على مفاهيم السلام.

كما أنَّ التوجيهات الإلهية -(سواءاً ما وَرَدَ في القرآن الكريم، أو ما وَرَدَ في الأحاديث الشريفة عن النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، وعن الأئمَّة الطاهرين(عليهم السلام))- تُؤكِّد على أنَّ مفهوم الاستجابة للهﷻ وللرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، تكون نتيجته: بناء الحياة على أساس السلام.

كأنَّه ليس هناك حياةً إلهيةً من دون سلام، وأنَّ المَطلَب الإلهي للاستجابة العملية للهﷻ وقرآنه، وللنَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وسُنَّته لا تتمُّ بشكلها العملي، إلاَّ بتأسيس ثقافة السلام لبناء المجتمع، بل المجتمعات، بل بناء الحياة ككلٍّ.

فهُلمَّ -(عزيزي القارئ)- لنعيش مع هذا الكتاب... في رحاب

السلام الذي أراده الله ﷻ للبشرية ككلٍّ.

الفصل الأَوَّل

ويتكوَّن من أربعة مباحث

المَبحث الأول:

السلاَم.. وبناء الحياة

كلُّ الديانات شعارها.. السلام

المَبحث الثاني:

السلام.. الشعور بالمسؤولية

كونوا دعاةً لنا.. صامتين

المَبحث الثالث:

السلام مسؤولية.. وليس مِزاجيَّة

السلام.. مرايا الرحمة الإلهية

البدء بالسلام.. شعارُ الإنسانية

المَبحث الرابع:

كونٌ.. تطلَّع للسلام

لبيكِ.. دعوة السلام

السلام كالإيمان.. عقيدة وعمل

المبحث الأول

السلام.. وبناء الحياة

كلٌّ الديانات شعارها.. السلام

السلام.. وبناء الحياة

نرى أنَّ الآية الكريمة في سورة إبراهيم تُؤكِّد على أنَّ شعار الأُمَّة المؤمنة لابدَّ أن يكون هو: السلام، ولهذا تقول:-

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[١]

الابتداء بالسلام.. أدب وثقافة

لقد جاء التوجيه الإلهي على أنَّ كلَّ إنسان عندما يقابل الإنسان الآخر لابدَّ أن يبدأه بالسلام...

إذن الابتداء بالسلام هو:

أولاً: تأسيس لثقافة، وعلى هذه الثقافة تبتني ثقافات عملية وحياتية أخرى...

فثقافة السلام هي ثقافة انطلاقية، يعني: هي غاية، وهي وسيلة:

غاية.. باعتبار أنَّها امتثال لأمر إلهي.

ووسيلة.. لأنَّها تُسبِّب إزالة كلِّ العقبات التي من شأنها أو يُحتَمل أن تكون موجودة ما بينك وبين الآخر.

ثانياً: الابتداء بالسلام فيه تأكيد للآخر وإشارة واضحة على

---

[١] سورة يونس/آية/١٠.

أنَّه ليس لك في داخلي إلاَّ المحبَّة والسلام... ليس لك في داخلي أيَّ نوع وأيَّ صورة من أنواع وصور الغلِّ أو الحسد أو اللؤم أو الشرِّ بكلِّ درجاته، بكلِّ مستوياته، بكلِّ ألوانه، بكلِّ صوره.

النتيجة ماذا ستكون؟!... النتيجة ستكون: حالة الاطمئنان ما بين القادم وبين من قَدِمَ عليه، وكلما تأكَّدت حالة الاطمئنان بينه وبين الآخر، يعني: عمل من أجل بناء أساس متين للتعايش السِّلْمي... ويمكن أول معاني هذا التعايش السِّلْمي: سيتمُّ الانفتاح ما بينه وبين الآخر، سواءاً هو ينفتح للآخر، أو يجعل الآخر ينفتح عليه.

ولْنقل: أنَّ السلام يعني: عدم وجود مسبقات سلبية، والإطمئنان بعدم وجود مسبقات سلبية، ممَّا يزيد حالة الانفتاح ما بين الأطراف.

وهذه مُسألةٌ معاشةٌ ولها واقع اجتماعي، يمكن أن نلمسه في بعض جوانب وصور مجتمعاتنا:

فعندما يأتي شخص وهو لا يُحسِن الابتداء بالكلمة الطيِّبة التي هي السلام، أو ليس من ثقافته ذلك، سيكون كلامه -(وبأيِّ كلام ابتدأ وبأيِّ موضوع فتح)- سيكون ممجوجاً إن لم يُؤدِّ التحيَّة، حتَّى لو كان هو من أبناء ديانات أخرى، لأنَّ لكلِّ ديانة نوع من أنواع التحيَّة والتي هي تعني معنى من معاني السلام، ومعنى من معاني المحبَّة، خصوصاً أنَّ هناك بعض الأحاديث والروايات تُؤكِّد على

ضرورة وأهمية الابتسامة مع السلام، أو فلنقل: الابتسامة مع التحيَّة، وكأنَّك بذلك تعطي السلام في القول، والسلام في المظهر الذي هو درجة من درجات العمل، بدايات السلام العملي.

أمَّا إذا بدأ هذا القادم أو هذا المتلاقي مع أخيه بأيِّ موضوع دون تحيَّة، يكون ابتداؤه سلبياً، أو غير مريح، أو لا يُتلقَّى برحابة صدر.

لهذا نحن نقول: يمكن أن تكون كلُّ الديانات يبتدِئُ أبناؤها بتحيَّة، البعض منهم يُؤكِّد مفردة السلام وإن كانت بكلمات أخرى ولكن تعطي نفس المعنى.

إسلامنا العظيم، إسلامنا الحبيب أراد أن يُؤكِّد هذه المفردة بأجلى صورها، ولهذا أكَّد على كلمة السلام والتي هي تعني: المسالمة مع الآخر، وعدم العداء، وعدم البغضاء، وأنَّ العلاقة ما بيني وبين الآخر تكون على أساس الابتعاد عن كلِّ السلبيات المجتمعية، وبالتأكيد أنَّ الابتعاد عن السلبيات المجتمعية يقتضي وجود إيجابيات مجتمعية، هيَ:

١.عدم حمل العداء والضغينة والبغض للآخر.

٢.إيجاد درجة من درجات المعرفة.

٣.إيجاد درجة من درجات المحبَّة.

٤.إحياء درجة من درجات الرحمة في ضمير الإنسان.

٥.بعد ذلك، نصل إلى درجة من درجات المودَّة.

ولهذا الحديث الشريف يُؤكِّد على ضرورة السلام والابتداء به، عندما يقول (صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿السلام قبل الكلام﴾

بالتأكيد أنَّ اثنين عندما يتلاقيان -(خصوصاً إذا كان هناك قصد في هذا اللقاء)- لابدَّ أن يكون بينهما كلام، وحتَّى لو لم يكن هناك قصد في هذا اللقاء، وإنَّما كان لقاءاً عابراً من دون موعد، ولكن سيكون كلام فيما بينهما في أمور عامَّة، ولكن هؤلاء كما أنَّهم يمكن أن يكونوا متطابقين في أفكارهم وفي أهدافهم، كذلك يمكن أن يكونوا غير متطابقين في أهدافهم وآرائهم.

الإسلام أراد أن يبدأ الإنسان مع أخيه بالسلام قبل الكلام، وهو أدب إلهي وهو تربية نفسية، تأكيد لثقافة ربَّانية، تمنح حالة الاستقرار النفسي عند الاثنين أو عند الجميع.

فَقَد أصبح معلوماً أنَّ أساس هذا اللقاء هو: السلام، والمطلوب: أن يكون السلام قبل الكلام، يعني: تُؤكِّد السِّلْم ما بينك وبين الآخر، ثمَّ تتكلم معه بما تريد، محافظاً على آداب الكلام، وإن حصل تحاور، فلابدَّ أن تكون محافظاً على آداب وشروط الحوار، ملتفتاً إلى أنَّ أساس اللقاء كان: السلام.

لهذا فَقَد وَرَدَ في حديث آخر للنَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول فيه:-

﴿من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تُجيبوه، ولا تدعُ إلى طعامك أحداً حتَّى يُسلِّم﴾

والحال، دائماً الإسلام يُؤكِّد على الأخلاق، ويُؤكِّد على الليونة في التعامل، ويُؤكِّد على مفردة المرونة ما بين الإنسان وأخيه الإنسان، ويعمل بكلِّ إرشاداته للابتعاد عن مفردة الجفاف في العلاقات، والاقتراب من تحقيق الأُلفة، لذا فالحديث الشريف يُؤكِّد بالقول:-

﴿مَن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تُجيبوه﴾

يمكن أن نستوضح من هذا القول الشريف المبارك:-

١- إذا ابتعد الإنسان عن التوجيه الإلهي، والإنسان المؤمن لابدَّ أن يعيش الله ﷻ دائماً، وثمرة معايشته لله ﷻ هي:

أوَّلاً:-لابدَّ أن تنعكس في تطبيق التوجيهات الإلهية له، نتيجة معايشته لله ﷻ.

ثانياً:-لابدَّ أن تتجسَّد في سلوكه، في أخلاقه، في قوله، في عمله، في كلِّ مفردات حياته.

ثالثاً:-وأوضح وأهمُّ مفردات حياته: هو لقاؤه مع الآخر، والذي لابدَّ أن تكون غايته من اللقاء، تأكيد ثقافة السلام، من أجل أن يُؤكِّد للآخر أنَّه يحمل هذه الثقافة، وهو يعيشها، لأنَّ الله ﷻ أراد ذلك.

٢- كأنَّه يُرسِل رسالة إلى الآخر، أيَّاً كان هذا الآخر: أنَّ الذي

بيني وبينك هو السلام، سواءاً كنَّا من دين واحد أو من دينين، سواءاً كنَّا من طائفة واحدة أو من طائفتين، سواءاً كنَّا من مذهب واحد أو من مذهبين -(والتي دائماً أسمِّيها بالمدارس الإسلامية أي المذاهب الإسلامية)- سواءاً كنَّا من مدرسة إسلامية واحدة أو من مدرستين، سواءاً كنَّا من السُّنَّة أو من الشيعة، سواءاً كُنَّا من قومية واحدة أو من قوميتين، سواءاً كُنَّا من منطقة واحدة أو من منطقتين... وبما أنَّه كثُرت الكيانات والأحزاب في عالَمنا اليوم، وخصوصاً في عراقنا الحبيب، فنقول: سواءاً كان المتلاقون من كيان واحد، أو حزب واحد، أو من كيانين أو حزبين.

فالسلام ثقافة إلهية أساسية، والسلام ثقافة إنسانية أساسية.

فعندما يقول الحديث الشريف:-

﴿مَن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تُجيبوه﴾

يعني: هذا ليس ناكراً فقط لعلاقته مع الله ﷻ، وناكراً للتوجيه الإلهي إليه، وإنَّما هو ناكر لإنسانيته، لِعدم إقراره بالسلام، ناكر لحقوق الإنسان، وأول حقوق الإنسان: هو أن يشعر بالاطمئنان مع أخيه الإنسان... ولهذا يُؤكِّد على مسألة السلام قبل الكلام... هذا من جهة.

ومن جهةٍ أخرى: أنَّ أيَّ كلام وفي أيِّ موضوع لابدَّ أن يكون أساسه السلام، أساسه عدم العداء مع الآخر، لابدَّ أن يكون مُنطلَقه، دوافعه من ناحية، وهدفه من ناحية أخرى: هو الخير للإنسان،

والخير هو نوع وصورة من أنواع وصور السلام، حتَّى الأمور العلمية لابدَّ أن يكون أساسها السلام، فالعلم دائماً سلاح ذو حدَّين، للخير وللشرِّ، فعندما يكون بداية اللقاء السلام، يعني ذلك أنَّه سيُفعَّل من أجل الخير.

لهذا النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:-

﴿مَن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تُجيبوه﴾

عدم الإجابة لا يعني معنى من معاني الإهانة أو التقليل من الآخر أو الإساءة إليه، وإنَّما تعني: تنبيه الآخر، فليس من حقِّك أن تُقلِّل من الآخر، وليس من حقِّك أن تُهين الآخر، ولكن من حقِّك أن تُلفِت نظره وبأدب إلى سلبية ما عمل، أن تُلفت نظره وبأخلاق، وبكلِّ رِقَّةٍ إلى سلبيَّتِه.

ولهذا ليس بمسموحٍ لك أن تُطلِق بوجهه كلماتٍ جافَّةً أو كلمات غير لائقة أوغير سليمة أو أيّ صورةٍ من صور الإساءة، وإنَّما فقط تكتفي بعدم التجاوب معه في الكلام، من أجل أن يلتفت إلى سلبية ما عمل.

﴿مَن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تُجيبوه، ولا تدعو إلى طعامك أحداً حتَّى يُسلِّم﴾

في زمن صدر الإسلام، في زمن النبوَّة، وفي زمن الأئمَّة الطاهرين(عليهم السلام)، كانت مسألة البيوت المفتوحة مسألة شائعة، وهذا لا يعني عدم وجود حواجز، ولكن الكثير من بيوت المجتمع

كانت خيماً، ولهذا حتَّى الآن نرى مَن يحاول أن يتشبَّث بالأصالة الظاهرية، فيعمل خيمة من شَعَر أو ما شابه وشاكل ذلك، ويستقبل بها زائريه، ولكنها أصالة ظاهرية، لا مانع منها، بشرط أن تُعزِّز مفاهيم السلام.

ولكن أريد أن أصل إلى أنَّ: كثيراً من دُور الاستقبال المجتمعية أو محلات الاستقبال في المجتمع -(ما تُسمَّى اليوم بالدواوين والمكاتب، وعند البعض بالقبولات)- كانت ضمن خيمة، والخيمة مفتوحة، والكثير من هذه الدواوين كانت تستقبل زائريها وقاصديها وتُقدِّم لهم من الطعام ما وُجِد، ولهذا النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن أكَّد أولاً: عدم الكلام مع مَن لا يبدأُك بالسلام، بعد ذلك يُؤكِّد ثانية أنَّه لا تَدْعُهُ لطعامك، إن لم يُسلِّم.

لأنَّه: هو بالنتيجة: تركَ توجيهاً إلهياً، نتيجة لِتَرْك إيجابية اجتماعية مهمَّة وضرورية، وبناءاً على نفس المنوال، لا تتكلَّم مع من لم يُسلِّم، لا تَدْعُهُ لطعامك، كذلك ولأنَّ أماكن الجلوس وأماكن الاستقبال كانت مفتوحة كالخيم وما شابه ذلك، فكان القادم ومن بعيد يظهر لِمَن يَقدُم عليه، ولهذا كان من سُنَّة القادم أن يُسلِّم وهو عن بُعْد، وباعتبار أنَّه ليس هناك أبنية تحجز ما بينه وبين الخيمة التي يقصدها فَيَصلَ سلامه.

بناءاً على هذا، نرى أنَّ القول الآخر يقول:-

﴿ولا تأذنوا لأحد حتَّى يُسلِّم﴾

يعني: لا تأذنْ لأحد بمجالستك حتَّى يُسلِّم.

في تقديري ليس فقط لثواب السلام أو لأهمِّية السلام، وإنَّما من أجل زرْع ثقافة السلام ما بين المجتمع، وخصوصاً نحن في كلِّ زمان تشيع فينا سلبيات مجتمعية كثيرة، ولهذا نحتاج مقابل إشاعة هذه السلبيات، إشاعة ثقافة السلام، من أجل ذلك، الإسلام يريد أن تكون مفردة السلام هي المفردة الأولى ضمن كلِّ العلاقات واللقاءات.

كلُّ الديانات.. شعارها السلام

لقد أكَّدت كُلُّ الدِّيانات السماوية على جَعْل السَّلام سُلوكاً في حياة الفرد والمجتمع، لذا فقد أصبحت مسألة السلام مسألة أساسية حيث يقول النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿السَّلاَمُ تَحِيَّةٌ لِمِلَّتِنَا وَأَمَانٌ لِذِمَّتِنَا﴾

يمكن أن نقول في ذلك من باب التقريب: السلام شعار، شعارٌ للرسالة الإلهية المحمَّدية، وإن أردنا التوسعة نقول: أنَّ السلام شعارٌ للديانات الإبراهيمية، لأنَّ القرآن الكريم يقول، إشارة إلى إبراهيم(عليه السلام):-

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللّهِ هُوَ مَولاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[1]

﴿الْمُسْلِمِينَ﴾ تعني: الاستسلام لله(سبحانه وتعالى) عبودية وطاعة واستجابة ومحبَّة، ولابدَّ أن يكون نتيجتها: السلام مع خليفة الله(سبحانه وتعالى) الذي هو أخوك الإنسان.. وهذا السلام لابدَّ أن تشعره به، ليس مسألة

---

[1] سورة الحج/آية/٧٨.

داخلية، وإنَّما لابدَّ أن تكون مسألة خارجية حياتية.

إذن لابدَّ أن تُظهِره على لسانك، فيقول (عليه أفضل الصلاة والسلام):-

﴿السَّلاَمُ تَحِيَّةٌ لِمِلَّتِنَا وَأَمَانٌ لِذِمَّتِنَا﴾

وبعد ذلك يُؤكِّد النَّبيُّ(صلى الله عليه آله وسلم) في هذا القول الشريف: علاقة الإنسان هو مع بقية الديانات، وعلاقة الإنسان مع المسلمين، فدائماً أبناء الديانات الأخرى، إذا كانوا في الدول التي يغلب فيها المسلمون، فهم في ذمَّة المسلمين، وعلى المسلمين أن يعملوا من أجل حفظ دمائهم وأعراضهم وأموالهم.

وكأنَّ النَّبيَّ(صلى الله عليه وآله وسلم) في تتمَّة الحديث الذي يقول:-

﴿السَّلاَمُ تَحِيَّةٌ لِمِلَّتِنَا وَأَمَانٌ لِذِمَّتِنَا﴾

يعني: من كان ما بيننا وبينه ذمَّة، عَهْداً، فهي تأكيد لهذه الذمَّة، التي تُعطِيه الأمان والاطمئنان، وبالتأكيد أنَّ هذا المعنى له دخل كبير في ثقافة التعايش السِّلْمي.

المسألة الأخرى التي نفهمها من هذه الفقرة من الحديث هو: لقاء الإنسان مع الإنسان الآخر الذي ما بينهما شيئاً من العداء أو السلبية وما شابه ذلك وشاكل.

فإن جاء من بينه وبينك شيئاً من العداء، أو المعاداة، أو بعض السلبيات، وابتدأك بالسلام، أو ابتدأته أنت بالسلام، سواءاً ابتدأته بالسلام أو ابتدأك بالسلام، فيكون أحدكما بذمَّة الآخر، يعني:

لا عداء، يعني: لا تَعَدٍّ، يعني: حفظ حقوق، ودائماً الإنسان إذا كان يشعر مع أخيه الإنسان أنَّ حقوقه محفوظة يشعر بالسعادة والاطمئنان.

لهذا النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:-

﴿السَّلاَمُ تَحِيَّةٌ لِمِلَّتِنَا وَأَمَانٌ لِذِمَّتِنَا﴾

في هذا الحديث، توسعة في مفهوم وضرورة ثقافة السلام، ليس ما بينك وبين أصدقائك فقط أو ما بينك وبين معارفك فقط، أو ما بينك وبين أبناء دينك فقط، أو ما بين طائفتك ومذهبك وقوميتك فقط، وإنَّما لابدَّ أن يكون هو مع الجميع وحتَّى مع من ما بينك وبينه شيئاً من سوء الفهم والتفاهم.

مجالس.. المغفرة

الإسلام دائماً يرتقي بتوجيهاته إلى الأُمَّة دائماً لما هو أفضل، ولما هو أحسن، ولما هو أرقى، ولهذا يقول:-

﴿إذا تلاقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرّقتم فتفرّقوا بالاستغفار﴾

لا يكتفي بالتسليم، وإنَّما يضيف (التصافح) هذه المصافحة التي وَرَدَ فيها أحاديث وروايات كثيرة وكيف أنَّ:-

﴿المسلم إذا صافح أخاه، تحاتَّت خطاياهما، كما يَتَحاتُّ ورق الشجر﴾

وكيف أنَّه في بعض الأحاديث:-

﴿ما من مُسلِمَين يلتقيان فيتصافحان، إلاّ غُفِر لهما قبل أن يتفرّقا﴾

والغريب نرى أنَّ بعض مَن يتلاقى مع الآخر تكون مصافحته للآخر مصافحة شكلية ومصافحة غير حميمة، نُسمِّيها في عُرْف اليوم مصافحة باردة، ومن دون أن يشدَّ على كفِّ الآخر، وكأنَّه لا يقابل المثل بالمثل، وبالتأكيد أنَّ هذا ليس بمحبوب في الإسلام، وإنَّما الإسلام يريد المصافحة من أجل تأكيد علاقة المحبَّة، ومن أجل تأكيد السلم والسلام والتسالم، إلى درجةِ أنْ تبقى الملائكة تستغفر لهم حتَّى تنفكَّ يد أحدهما عن الآخر، يعني ذلك فيه تشجيع لاستمرار تَعانُق الكفَّين.

﴿إذا تلاقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرّقتم فتفرّقوا بالاستغفار﴾

الله أكبر!... ما أروع ذلك!... ما أجمل ذلك!...

وكأنَّ هذه الفقرة تعطينا أمرين:

الأمر الأول: هي مسألة الدعاء، لأنَّ الاستغفار هو نوع من أنواع الدعاء، وكيف أنَّ مفردة الدعاء هي مفردة مُهدِّئة، مفردة تُؤدِّي إلى الاطمئنان، مفردة تُسعِد، وأنَّ أيَّ لقاء يتمُّ، تكون نهايته أي (نهاية اللقاء) الدعاء.

ضمن كلِّ الأمور الدنيوية والأخروية، كم سيكون لها الأثر

الكبير في نفسية الاثنين أو في نفوس المجتمعين، وكم ستُعطي من إيجابيات نفسية وروحية وفكرية وأخلاقية وحياتية وسلوكية.

الأمر الثاني: في هذا التوجيه بأنَّ **(وإذا تفرّقتم فتفرّقوا بالاستغفار)** وكأنَّ الحديث يريد أن يُبيِّن واقعاً مجتمعياً، هذا الواقع المجتمعي هو أنَّ الكثير من اللقاءات والجلسات، يمكن أن تتخلَّلها أشياء غير مرغوب فيها من ناحية، أو أشياء ليست بالطموح، ليس بالضرورة أن تكون سلبية أو محرَّمة ولكنها ليست بالطموح، أو أنَّها كانت لغواً، ليست حراماً ولكنَّها لغواً، أو ممكن أن تكون فيها سلبيات تصل إلى درجة من درجات الحُرمة... ولهذا شيء جميل، الإنسان دائماً يجعل الاستغفار شعاراً له، وعندما يُنهِي أيَّ لقاء وأيَّ جلسة، يختتمها بالاستغفار للمتحدِّث وللسامع، يختتمها بالاستغفار لِمَن حضر الجلسة.

وهذا ما نراه من عمل النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن عمل الأئمَّة الطاهرين(عليهم السلام)، ومَن سار على هَدْيهم، فإنَّهم كانوا عندما يتحدَّثون مع المجتمع -(على الأغلب)- كانت نهاية أحاديثهم طلب المغفرة من اللهﷻ للجميع، ويقول ختاماً:

اللهمَّ اغفرْ لي وللمؤمنين وللمؤمنات، اللهمَّ اغفر لي وللمؤمنين وللمؤمنات، اللهمَّ اغفر لي وللمؤمنين وللمؤمنات، وللحاضرين: أستغفر اللهَ لي ولكم.

وهكذا يتبيَّن لنا أهمية السلام وضرورة السلام وفاعلية السلام

في بناء ثقافة السلام التي تُوصِل إلى التعايش السِّلْمي.

الخلاصة

١. إنَّ منهجية الإسلام المجيد، تُؤكِّد على ضرورة السلام من خلال التشريعات على مستوى النَّصِّ القرآني أو الأحاديث النَّبوية الشريفة أو روايات المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) إضافةً إلى سيرتهم العملية بين أبناء المجتمع.

٢. حثُّ المجتمع بكلِّ أطيافه للامتثال لِما يَصدُر من الخالقﷻ من تشريعاتٍ سماوية، ومن ضمن هذه التشريعات تربية الإنسان على إفشاء السلام والابتعاد عن العداوة والعدوان.

٣. إنَّ نشْر ثقافة السلام بين أبناء المجتمع هو غاية ربَّانية، كما أنَّها وسيلة لتحقيق مبدأ السلام بين أطياف المجتمع الواحد.

٤. تعليم الفرد والمجتمع على نشْر السلام والمحبَّة والأُلفة ونبْذ الاختلاف والتناحُر، سواءاً كان بين الأفراد أو العوائل أو القبائل أو المجتمعات أو الشعوب الأُخرى.

٥. لقد وثَّق الإسلام المجيد، أنَّ إشاعة السلام والتحية بين أفراد المجتمع هو واجب شرعي، وليس مجاملة شكلية.

٦. من الإيجابيات المجتمعية للسلام هي:

أ. نَبْذ حالة العداء بين الأفراد والجماعات.

ب. تحقيق نوع من أنواع الأُلفة والمَحبَّة بين أطياف المجتمع.

ج. التأسيس لدرجةٍ من درجات المعرفة والتعارف بين الفرد والآخر وبين المجتمع والمجتمع الآخر.

د. غرْس مشاعر الرحمة داخل نفسية الفرد والجماعة.

٧. الابتداء بالسلام والتحية، به تُعكَس روح الأمل والتفاؤل عند البادئ بالسلام، والمُتلقِّي للسلام، فهو نوع من أنواع الممارسات النفسية الإيجابية.

٨. إلقاء السلام والتحية يعكس حالة من حالات الرُّقِي في الآداب العامة والأخلاق المجتمعية.

٩. إلقاء السلام والتحية على الإنسان الآخر، ما هو إلاَّ رسالة تطمين للآخر سواءاً كان من نفس الديانة أو من أبناء ديانة أخرى.

١٠. رفْض الإسلام الحنيف في تعاليمه أنْ يبدأ الإنسان بالكلام دون الابتداء بتحية السلام.

١١. المبادرة بإلقاء السلام والتحية به، مبدأ أساس لكل الديانات السماوية وقد أصبح شعيرة من شعائرها الإيمانية.

١٢. إشاعة تحية السلام بين الأفراد والجماعات، ماهو إلاَّ تأسيس لمبدأ التعايش السلمي بين المجتمعات المختلفة.

١٣. إشاعة السلام هو نوع من أنواع نشر الطاقة الإيجابية البنَّاءة وإشاعة روح الأمل والتفاؤل بين الأفراد والمجتمعات والشعوب.

المبحث الثاني

السلام.. والشعور بالمسؤولية

كونوا دعاةً لنا.. صامتين

السلام.. والشعور بالمسؤولية

مغفرة.. يجلبها السلام

لأهمِّية السِّلْم والسلام في الإسلام، جَعْل مُفردة السلام من أسباب المغفرة الإلهية.

في تقديري: إنَّ هذه الكلمة الصغيرة والتي هي السلام بقولك للآخر عندما تراه: سَلاَمٌ عليكم، أو السَّلاَمُ عليكم، وإن أتمَّتها فكأنَّك تتمُّ جملة (سَلاَمٌ عليكم ورحمة الله وبركاته)، وإذا هي تُسبِّب المغفرة الإلهية، وما أضخم المغفرة الإلهية، وما أهمّ المغفرة الإلهية، وما أحوجنا كأفراد وكمجتمع وكأُمَّة للمغفرة الإلهية عندما نلقاه (سُبْحَانَهُ وتَعَالَى).

ولذلك نقول: لابدَّ من وقفة قصيرة على هذا القول المبارك:-

﴿من مُوجبات المغفرة: بذل السلام، وحُسْن الكلام﴾

دائماً الثواب والأجر والعطاء الإلهي بمقدار التأثير في الحياة الدنيا، في العمل الصالح ، ويكون الثواب والأجر نتيجة النيَّة الصادقة والعمل، أي تطبيق النِّيَّة الصادقة عملياً، بكلِّ ما أوتي الإنسان من طاقات وقابليات، وعلى العكس من ذلك فإنَّه لا يصل إلى النتيجة المطلوبة... إلى الهدف المطلوب، سواءاً لتقصير منه غير متعمَّد أو لظروف اجتماعية بيئية أحاطت به، أو هي قصور

منه، فلم يتمكَّن من الوصول إلى هدفه.

هنا، يأتي القول المبارك المشهور:-

﴿نيّة المرء خير من عمله﴾

في الحقيقة، كلمة خير هي ليست كلمة بمعناها الواسع، لأنَّ المطلب الإلهي من الإنسان: هو أن يصل إلى الهدف وليس فقط أن يُتعِب نفسه، بدون تحقيق الهدف والقول المبارك الذي يقول:-

﴿نيّة المرء خير من عمله﴾

يريد الإسلام من أبناء الأُمَّة: ألاَّ يبتعدوا عن شعورهم بالمسؤولية ونواياهم الصادقة المخلصة الطاهرة وتفعيل ما لديهم من قابليات وطاقات من أجل هذه النوايا المخلصة الإلهية الإنسانية الوطنية.. فمرة تُثمر ومرة لا تُثمر، وفي تقديري بمقدار الإخلاص تكون الثمرة، ولكن هذه المسألة تعود للحكمة الإلهية.

اللهﷻ أعرف بدواخلنا ودواخل كلِّ العاملين، ولهذا يريد ربُّ العالَمين من أفراد الأُمَّة: أن يبقوا عاملين مُتحرِّكين فاعلين، يحملون شعوراً بالمسؤولية تجاه أنفسهم وتجاه رسالتهم وتجاه وطنهم وتجاه مجتمعهم وتجاه شعوبهم وتجاه الإنسان الآخر، وأن يعملوا ما يتمكَّنون من أجل هذه الأهداف الإلهية الإنسانية الوطنية السامية العظيمة.

فمرَّة، اللهﷻ يُحقِّق لهم الأهداف، ومرَّة لا يُحقِّق لهم الأهداف وإنَّ عدم تحقيق الأهداف لا يعني الانكفاء، وعدم التحقيق لا يعني

اليأس، وعدم التحقيق لا يعني الابتعاد عن المسؤولية، وعدم التحقيق لا يعني سقوط الشعور بالمسؤولية، وعدم التحقيق لمرَّة أو لمرَّتين أو لمرَّات، لا يعني أنَّ الإنسان ييأس ويتلاشى التفاؤل ويضيع الأمل في مسيرة تطبيق رسالته الإلهية الإنسانية الوطنية، وإنَّما يستمرُّ ويبقى على ذلك، ويحاول ثانية وثالثة، وهكذا وهكذا ما دام هو في الحياة الدنيا.

لأنَّ الإنسان لا ينفصل عن مسؤوليته ما دام في الحياة الدنيا، فمسؤوليته مقرونة بالحياة، وهو لابدَّ أن يكون قريناً مع مسؤوليته لا ينفكُّ عنها ولا هي تنفكُّ عنه، فالمسؤولية لا تنفكُّ عنه، لأنَّ الحكمة الإلهية اقتضت ذلك، وهو لا ينفكُّ عنها، لأنَّه استجاب للتربية الإلهية، والتي ضمنها: مسألة إقامة الحياة، ومسألة الوطن والعمل من أجل الوطن والحبِّ للوطن، ومسألة الإنسان وكرامة الإنسان وخلافة الإنسان والعمل من أجل حقوق الإنسان.

ولكن مع كلِّ الذي بيَّناه نقول: أنَّ العمل إذا كان بنيَّة العمل الصالح، والإنسان فعَّل طاقاته وقابلياته وقدراته لتطبيق مبادئ العمل الصالح، بمعنى أنَّه فعَّل الألطاف الإلهية التي مَنَحها الله ﷻ له وإيَّاه، من أجل أهدافه السليمة الوطنية الإيمانية والإنسانية، وحقَّق شيئاً، فإنَّ ذلك سيكون ثوابه، أجره، العطاء الإلهي له، ولا يمكن تصوُّر العطاء الربَّاني، إلاَّ بفهم النتيجة التي سيصل إليها الإنسان، ويمكن أن نقول من باب التقريب: النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول

لعليٍّ عليه السلام:-

﴿يا عليُّ، لأَن هَدَى اللهُ بك شخصاً واحداً خير ممَّا طلعت عليه الشمس وغربت﴾

أقول: يمكن للإنسان أن يعمل من أجل هداية الآخرين، لله تعالى وللوطن ولكرامة الإنسان وحقوق الإنسان، فمرَّة يُفلِح ومرة لا يُفلِح ويمكن بالنسبة للكثيرين، في كثيرٍ من الأوقات أن لا يصلوا إلى نتيجة مع الآخر، ولكن هو فَعَّل ما لديه من طاقات ومن قابليات، عند ذلك يكون مأجوراً، يكون مُثاباً، ولكن لو وصل مع الآخر إلى نتيجة، لكان الثواب الذي يَهَبُه الله تعالى له أوسع وأكبر وتأتي أوسع معاني المغفرة الإلهية، لماذا؟!..

لأنَّه أحدث شيئاً، لأنَّه حقَّقَ شيئاً، أنجزَ شيئاً، فعل شيئاً، الشيء موجود مرَّة بالقوة.. ومرَّة بالفعل.

هذا الذي عنده نيَّة صادقة وفعَّل قابلياته وأعضاءه وأجزاءه وطاقاته فهو فعل شيئاً بالقوة، بالقوى التي لديه، بالقوى التي عنده، سواءاً بطاقاته الفكرية أو بإمكاناته المادِّيَّة.

ومرَّة فعَّل قواه وصار لها وجوداً خارجياً، ولهذا يُسمُّونه بالمنطق وفي بعض موارد الأصول: وجود بالفعل وليس بالقوة.

هذا الوجود الذي يتمُّ بالفعل، هذا له عظمته، آثاره، هذا إذا هداه الله تعالى وفعلاً وصلت الهداية إلى داخله وصحَّح سلوكه.

دائماً الثواب والأجر بمقدار الأثر في الحياة الدنيا، هناك

عبادات فردية، وهناك عبادات اجتماعية. العبادات الفردية لها تأثير على المجتمع، ولكن تأثيرها ثانوي، فعندما تُحسِن صلاتك فهذه عبادة فردية، عندما تُحسِن صيامك فهذه عبادة فردية، عندما تُحسِن أداء حجَّك فهذه عبادة فردية، وهكذا الكثير من العبادات هي فردية، ولكن تعطي صورة جميلة عن الإسلام، عن الرسالة الإلهية، عن المنهج الإلهي، الأخلاق الإلهية، ولهذا تُؤثِّر في المجتمع، هذا التأثير الذي يقصده الإمام عليه السلام:-

﴿كونوا لنا دعاة صامتين﴾

وفي بعض الروايات:-

﴿كونوا لنا دعاة صامتين بأفعالكم قبل أقوالكم﴾

هذا الثواب الذي يكون نتيجة السلام، عندما يكون هدف السلام بناء المجتمع، عندما يكون السلام بناء الشعب، عندما يكون السلام بناء الأُمَّة، بمقدار ما يتحقَّق وجود للمفردة الإلهية، نتيجة بذل جهد الإنسان الفردي أو الجماعي، سيكون له الثواب والأجر الإلهي، ونقصد من الفرد أو الجماعة.

الفرد: الإنسان لوحده.

الجماعة: المجتمع.. مجموعة من المجتمع الذي يتبنَّى المنهج الإلهي، والذي يكون من ضمنه: الوطن والإنسان، بعيداً عن المفاهيم المذهبية والطائفية، وبعيداً عن المفاهيم القومية والعِرقية، وبعيداً عن المفاهيم الحزبية والتكتلية والجهوية وما شابه وشاكل

ذلك، وإنَّما مجموعة من المجتمع يعيشون النضج في تفكيرهم، يعيشون الوسطية، يعيشون الاعتدال، فهموا المنهج الإلهي على شكله العملي وليس على شكله النظري، وأخذوا يعملون على هذا الفهم، ولهذا جسَّدوا المنهج الإلهي في حياتهم، نتيجة ذلك: أعطوا صورة جميلة.

عندما يكون المنهج الإلهي مُجسَّداً بصورة أشخاص، بعملهم، بسلوكهم، بأخلاقهم، بتربيتهم، مع إقران العلم والثقافة، بالتأكيد سيكون مِصداقاً لقول المعصوم:-

﴿كونوا لنا دعاة صامتين﴾

وكذلك:-

﴿كونوا لنا دعاة صامتين بأفعالكم قبل أقوالكم﴾

ولذلك سيجلبون الآخرين إلى منهجهم.

ونتيجة إخلاصهم لا يريدون أن يختصَّ الخير بهم، وهذا الفرق ما بين المجموعة من المجتمع الصالح وما بين الأيدلوجيات السياسية، فتلك -(أي الأيدلوجيات السياسية)- تريد نتائج لها، مصالح لها، أمَّا هذه المجموعة من المجتمع الصالح لا تريد إلاَّ صلاح المجتمع، سلام المجتمع، أمان المجتمع، قوة المجتمع، صحة المجتمع.

أعود وأقول: بمقدار تأثير عمل الإنسان في المجتمع سيكون له الثواب والأجر الإلهي، بمقدار تأثير السلام ومفهوم السِّلْم في

المجتمع نتيجة نشاط فرد أو مجموعة سيكون الثواب الإلهي، ولهذا لا نستغرب، لا نستبعد، لا نستكثر كرم الله ﷻ أن يعطي لِمَن أشاع السلام في المجتمع: المغفرة في الآخرة.

ما بين.. المغفرة والشعور بالمسؤولية

بعد ذلك تشير الرواية إلى قرين بذل السلام، والذي هو لا يتمُّ بالتأكيد إلاَّ بقرينه، إمَّا هو لا يتمُّ إلاَّ بالثاني، وإمَّا أنَّ الثاني لابدَّ أن يكون متمِّماً للأول، وهو:-

﴿من موجبات المغفرة: بذل السلام، وحُسْن الكلام﴾

كأنَّ الرواية تلتفت إلى مسألة مهمَّة في مجتمعاتنا، وفي كلِّ مجتمع، وفي كلِّ زمان، وفي كلِّ مكان: أنَّ السلام عندما يحلُّ ما بين أفراد وأبناء المجتمع، وما بين المجتمعات، تتحقَّق إرادة السلام بالرغم من وجود رواسب سلبية قد تظهر من الثقافات السابقة، التي سبقت السلام، نعرات طائفية، تعصُّبات قومية وعرقية، وصيحات حزبية وسياسية.. هذه الأمور السلبية التي ممكن أن تُطرَح على الساحة، بعد مفردة السلام، تحتاج إلى حُسْن الكلام، تحتاج إلى أنَّ الذي أشاع السلام دائماً يلتفت إلى قول الله ﷻ:-

﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[١]

إذا كانت هناك بقايا عداوة، بقايا سلبيات، بقايا تصورات، بقايا مخلَّفات ما بين الآخر وبينك (إدفعها بالتي هي أحسن).. بذلك أنت تعيش في الحياة الدنيا بسعادة، بذلك أنت تعيش في الحياة الدنيا باطمئنان، وتجعل الآخرين يعيشون باطمئنان، فالعدوان لا ينتج إلاَّ عدوان، والخلاف لا يوصل إلاَّ إلى خلاف.

بعكس الكلام الطيِّب، بعكس (الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، بعكس حُسْن الكلام، فإنَّ ذلك ممَّا يوصل، ليس بالفرد فقط وإنَّما بالمجتمع ككلٍّ إلى حالة الاطمئنان وحالة السعادة.

بالتأكيد أنَّ هذا من الصور الراقية لشعور الإنسان بمسؤوليته تجاه مجتمعه، وتجاه أُمَّته، وتجاه وطنه، وتجاه إنسانيته.

دائماً مسألة المغفرة ومسألة الثواب الإلهي بمقدار شعور الإنسان بمسؤوليته، فكلما كان شعوره بمسؤوليته أكبر وأعلى وأنتجَ عملاً نافعاً إنسانياً صالحاً له وللآخرين، سيكون له من الثواب والأجر ما هو أكثر وأوسع وأدوم.

---

[١] سورة فصلت/آية/٣٤.

الخلاصة

١. السلام ليس مجرَّد كلمات جوفاء تُطلَق إلى الآخر، وإنَّما هو مبدأ يُرسِّخ حالة المغفرة الإلهية باعتباره تطبيق لسلوك وتعليم إلهي مُقدَّس وموقف إنساني راقٍ يجب أن يتحلَّى به البشر.

٢. المُبادرة بإلقاء تحيَّة السلام ما هو إلاَّ تطبيق عملي لإرادة السلام ومنهجية التعايش السلمي مع الآخر.

٣. من مصاديق تطبيق الإنسان للإرادة الربَّانية المُباركة وتجسيد الروح الإنسانية والوطنية داخل شخصية الفرد والمجتمع إشاعة تحية السلام والعمل بمنهج السلم والسلام.

٤. على الإنسان أنْ لا ييأس عندما لا يستجيب الآخر لدعوة السلام، وعليه أن يُحاول مرَّةً تِلو الأخرى، حتى يصِل إلى الهدف السامي في تحقيق السلام.

٥. في كلِّ الأديان السماوية هناك عبادة فردية كالصلاة والصوم وهناك عبادات جماعية مثل حبِّ الوطن والدفاع عن المُقدَّسات ومصالح الأُمَّة والتعاون الجماعي ضد الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات والأوبئة والحرائق وغيرها.

٦. ليكن السلام سلاماً عاماً، سلاماً مجتمعياً نابعاً من صميم

الإرادة العامَّة المجتمعية، وبذلك ينجو المجتمع من جميع المناورات السياسية المُفتعَلة التي يقوم بها أصحاب المصالح السياسية في أوقات الأزمات والاختناقات السياسية.

٧. عندما تتجذَّر في حياة المجتمع معاني السلام والمَوَدَّة بين أطياف المجتمع المُتنوِّعة، فإنَّ المجتمع يُصبح قوياً في إرادته وفي روابطه وفي جميع مفردات حياته، وهنا تبرُز ظاهرةُ ضرورةِ التعايش السلمي للمجتمع بكلِّ أطيافه وامتداداته الفكرية والعقائدية والطبقية.

٨. من أهداف الإسلام المركزية تربية الأُمَّة على ثقافة السلام ومَن لا يقتنع بهذا الهدف، فإنَّه سيبقى غريباً عن وجود الأُمَّة.

٩. الإسلام المجيد يُوجِّه الأُمَّة بأنَّ مَن يرفض ثقافة السلام وتربية السلام، فإنَّ هذا الشخص لا يريد خيراً بالأُمَّة والمجتمع والوطن.

١٠. من أجل دفْع المخاطر عن الأُمَّة يُؤكِّد الإسلام المجيد على ضرورة عزل العناصر السلبية التي لا تُؤمِن بالسلام عن جسد المجتمع وعن وجود الشعب وعن كيان الأُمَّة.

المبحث الثالث

السلام مسؤولية.. وليس مِزاجيَّة

السلام.. مرايا الرحمة الإلهية

البدء بالسلام.. شعارُ الإنسانية

السلام.. مسؤولية وليس مزاجية

عندما يقول الحديث المبارك:-

﴿من موجبات المغفرة: بذل السلام، وحُسْن الكلام﴾

هناك مسألة لا بدَّ أن نشير إليها في هذه الرواية وهي:

أنَّ المطلوب بَذْل السلام، وليس مسألة أن نتخيَّر مع مَن يكون السلام، كم جميل أنَّ الإنسان الذي يشعر بأهمية السلام عندما يسير في أيِّ مكان يبدأ الآخرين بالسلام، ولا يكون ممَّن يتخيَّر بالسلام على مَن يريد، بمعنى أن ينتقيَ الأشخاص الذين يُلْقي عليهم السلام، نتيجة بعض ما يربطه بالآخرين، أو نتيجة صفات وضعها في باله، في عقله، في نفسه، في تفكيره، في موضوع السلام مع الآخرين، أي بموجِب مقاسات وضعها في ذهنه، تتماشى مع رغباته الشخصية والنفسية والعاطفية.

مسألة السلام ليست مسألة انتقائية مع شخص دون آخر، وإنَّما هي كما أرادها الله ﷻ مسألة لابدَّ أن تكون ثقافة مجتمعية، تعمُّ الجميع، وتشمل الجميع وعلى حدٍّ سواء، ولهذا المطلوب الإلهي ضمن الرواية المباركة هو: أن نبذل السلام.

وكما أنَّ المطلوب: أن نبذل السلام كذلك المطلوب: أن نبذل

حُسْن الكلام.. فحُسْن الكلام كالسلام، لا نختصُّ به مع أحد دون الآخر، وإنَّما يكون مع الجميع، وعلى حدٍّ سواء، فإشاعة السلام بين أبناء المجتمع، يتطلَّب حُسْن المنطق وجماله وعذوبته.

ماذا.. يحبُّ الله؟!..

مسألة السلام من مُوجِبات محبَّة الله ﷻ للإنسان، وهذا واضح.

لأنَّ السلام من أسماء الله ﷻ، وارتضاه منهجاً لعباده، وطريقاً أمرهم بسلوكه، وجَعَلَه بداية ونهاية للصراط المستقيم الذي ندعو الله ﷻ في كلِّ صلاة أن يهدينَا إليه وإلى السير فيه.

المطلوب من الإنسان: أن يُحقِّق السلام في الحياة الدنيا من أجل أن يعيش السلام في آخرته، بمعنى أن يكون السلام منهجاً عملياً في حياة الإنسان، له منطلقاته العقائدية والثقافية، ليشمل السلام كافَّة مناحي الحياة البشرية.

لهذا مفردة السلام من الأمور المحبوبة لله ﷻ، فالإنسان الذي يحمل هذه المفردة، ويشعر بالمسؤولية تجاه هذه المفردة، ويبذل طاقاته من أجل إشاعة هذه المفردة وبشكلها العملي ما بين أبناء المجتمع، ما بين أبناء الشعب، ما بين أبناء الأُمَّة، وبعد ذلك ما بين أبناء الشعوب، ما بين أبناء الأمم في كلِّ مكان، وفي كُلِّ زمان، الأمر الذي يجعل الإنسان من المحبوبين عند الله، ربِّ العالمين.

لهذا، يقول الحديث الشريف:-

﴿إنّ الله يحبُّ إطعام الطعام، وإفشاء السلام﴾

هناك بعض الأحاديث تعطينا دروساً:

كان الدرس الأول الذي تحدَّثنا به في هذه المحاضرة، هو: بذل السلام مع حُسْن الكلام، وكيف أنَّ حُسْن الكلام متمِّم للسلام، أو أنَّ السلام هو من حُسْن الكلام.

السلام.. تصنعه العدالة

يعطينا هذا الحديث الشريف درساً ثانياً عندما يقول:-

﴿إنّ الله يحبُّ إطعام الطعام، وإفشاء السلام﴾

مرَّة نلتفت إلى ذكر إطعام الطعام أولاً، وإفشاء السلام ثانياً، وكأنَّ الحديث الشريف يلتفت إلى واقع مجتمعي مرير في كثير من مجتمعاتنا وفي كثير من أزمنتنا الماضية والحاضرة، وهي مسألة: صعوبة الجوع، صعوبة الفقر، صعوبة عدم وجود ما يأكله الإنسان هذا المعنى الذي يُعبِّر عنه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما يقول:-

﴿عجباً لِمَن لا يملك قوت يومه، كيف لا يخرج شاهراً سيفه على الناس﴾

وكأنَّه نتيجة طبيعية لجوع الإنسان، نتيجة طبيعية لعدم حصوله على ما يسدُّ رمقه.. لهذا الحديث الشريف يريد أن يُبيِّن

حقيقتان هما:-

أوَّلاً:- إنَّ مفردة التكافل الاجتماعي هي من أهمِّ موجبات السلام، والعمل من أجل وجود تكافل اجتماعي وإشباع الجائع.

ثانياً:- العمل من أجل السلام، أي إشاعة السلام على المستويين الخاص والعام.

وعندما لا تكون عدالة، لا يمكن أن يكون هناك سلام، وحينئذٍ لا يكون هناك تكافل اجتماعي، ولا يمكن أن تكون هناك حالة اطمئنان في المجتمع، ولهذا لا سلام من دون تكافل اجتماعي.

التكافل الاجتماعي له درجات، له صور متعدِّدة، ولكن أُولى هذه الدرجات ولنقل: أدنى هذه الدرجات، هو: إطعام الطعام للجياع بصورةٍ خاصة، ولهذا وردَ عن النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّه قال:-

﴿ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع﴾

وفي حديث آخر:-

﴿ما آمن بي من بات شبعان ويعلم من هو جائع﴾

بالتأكيد في توضيح هذا الحديث نقول: يعلم الإنسان المُتمكِّن ويستطيع إيصال الطعام للمحتاج، لِيَسدَّ جوعه وعطشه، وإن لم يفعل ذلك سيفقد الإنسان المتمكِّن إيمانه، فكيف الأمر إذا كان الجائع جاره أو من أرحامه؟!...

عندما يكون هناك جياع في المجتمع وبكثرة، يكون الكلام عن السلام مسألة ترفية، عندما تكثر البطالة في المجتمع يكثر الجوع،

وعندما تكثر البطالة ويكثر الجوع يكون، الكلام عن السلام مسألة وكأنَّها غريبة.

عندما تشكو الأرض الطيِّبة إلى الله ﷻ من عدم سقيها وزرعها، فالأرض تشكو لأنَّها لا تُزرَع، والإنسان يشكو لأنَّه جائع، إذن أين مجال السلام؟!..

المطلوب من السلام هو: السلام المجتمعي، ليس السلام ما بين النخب، وليس السلام ما بين السياسيين فقط، وإن كان هذا لا يتحقَّق في كثير من البلدان، ومنه في بلدنا... لهذا الحديث الشريف قدَّم إطعام الطعام على مسألة السلام، وكأنَّ الحديث يريد أن يقول:

١- لابدَّ من الالتفات إلى الأمور الضرورية للمجتمع، وسدِّ حاجات المجتمع لهذه الأمور الضرورية أولاً قبل أن يأخذ كلَّ حقوقه، وبعد ذلك إعمل على إفشاء السِّلْم والسلام.

لأنَّ المنهج الإلهي يمتاز بما يلي:

أولاً:- إنَّه منهج عملي وليس منهجاً سفسطائياً.

ثانياً:- يريد ممَّن يلتزم به أن يصل إلى نتائج إيجابية.

ثالثاً:- يريد ممَّن يلتزم به أن يصل إلى حقائق ملموسة لكلِّ أفراد المجتمع.

رابعاً:- يريد ممَّن يلتزم به أن يكون إسلامه إسلاماً عملياً، والإطعام ليس بالضرورة أن تُطعِم من أفضل ما يكون عندك من طعام، ولكن أن تُطعِم ممَّا تأكل.. هذا المعنى الأول لموضوع تقديم

إطعام الطعام على إفشاء السلام.

٢- حتَّى لو فرضنا أنَّه ليس هناك جياع، ولكن مسألة إطعام الطعام مسألة تُؤثِّر في النفس، مسألة إطعام الطعام مسألة تُدخِل السرور إلى قلب الآخرين، إذن، يكون الطريق مفتوحاً ما بينك وبينه، لأنَّك قد أطعمته، وما يُسمَّى اليوم: تكون قد ضيَّفته.

بيوت.. عمِّرها السلام

عندما يعيش الآخر معك حالة الانفتاح، حالة الاستقرار، يرى منك المحبَّة والاحترام لشخصه كونه إنساناً، كونه حاملاً لبعض الصفات الخيِّرة، لبعض الصفات الطيِّبة، عند ذلك سيكون منسجماً معك، يكون متفاعلاً معك، يكون ممَّن يعيش درجة من درجات الاستجابة لك.

لهذا نرى أنَّ الحديث الشريف قدَّم مفردة إطعام الطعام ومن ثمَّ إفشاء السلام، وهذه المسألة (مسألة إطعام الطعام وإفشاء السلام) لها مردودات عظيمة... فسيكون عليك كشخص وعلى مَن معك ممَّن بذل من أجل رفع الحواجز ما بينكم وبين الآخرين، وخدمة الآخرين والاهتمام بأمورهم الأساسية والرئيسية، ومن ثمَّ عملتم من أجل تثبيت ثقافة السِّلْم والسلام مع الآخرين، ولهذا نرى الحديث الآخر يقول:-

﴿أفشِ السلام يَكثُرْ خير بيتك﴾

بالتأكيد أنَّ نِعَم اللهﷻ كثيرة لا تُعدُّ ولا تُحصى، ولكن من أكبر نِعَم اللهﷻ: أن يعيش الإنسان بسلام، باطمئنان، ولهذا ولأهمية السلام والاطمئنان وَرَدَ:-

﴿نعمتان مجهولتان -(ولا نقول مفقودتان)- الصحة والأمان﴾

عندما تكون موجودة لا يهتمُّ الإنسان بها، لا يعرف حجمها وقدرها وأهميتها وضخامتها، وما لها من مكانة فعلية ومستقبلية، ولكن عندما يفقدها كلاًّ أو جزءاً عند ذلك يلتفت لأهميتها، يلتفت لمكانتها، وكيف أنَّه بفقدانه لها قد تغيَّرت الكثير من أمور حياته وتحركاته... لهذا الحديث يريد أن يُؤكِّد للإنسان والذي دائماً هو يستشعر مسؤوليته الأولى لبيته ولِمَن معه، وكأنَّه يريد أن يقول له:

إنَّك جزء من المجتمع، كلَّما تُحقِّق الخير للمجتمع بإطعام الطعام وإفشاء السلام، تعيش السعادة في بيتك، تعيش حالة الاطمئنان في بيتك، ويمكن أنَّ هناك الكثير من الناس لو التفتوا إلى أنفسهم، فإنَّهم سيرون أنَّ مَن يعلم بوجود جائع ويتمكَّن من إطعامه ولا يُطعِمه سيشعر بوخز الضمير، ويشعر بالحرقة، ويشعر بالألم، ولكن هناك مَن يعترف، وهناك مَن لا يعترف.

لهذا يقول الحديث:-

﴿أفشِ السلام يَكثُرْ خير بيتك﴾

عدم السلام... غربة وانحراف

دائماً المطلوب هو: إفشاء السلام ليس في مكان معيَّن، وإنَّما حامل رسالة السِّلْم والسلام أينما يكون تكون معه، ولهذا لا خصوصية في مكان دون آخر، ولا لأبناء ديانة دون أخرى، ولا لأبناء طائفة دون أخرى، ولا لأبناء مذهب معيَّن دون مذهب آخر.

وإنَّما لكلِّ إنسان، وإنَّما لكلِّ أبناء الديانات، ولكلِّ أبناء الطوائف، ولكلِّ أبناء المذاهب، والتي نُسمِّيها بالمدارس الإسلامية، ولكلِّ إنسان، لكلِّ من كرَّمه الله ﷻ، يعني: لكلِّ إنسان، لكلِّ من جعل حياته حياة بشرية، يعني: الإنسان، لكلِّ من جعل قتله قتل بشرية، يعني: الإنسان.

بذلك نستشعر أهمية إشاعة السِّلْم والسلام عند كلِّ الناس من دون النظر إلى الزمان والمكان، ومن دون النظر إلى الهويات الثانوية، هو أولاً إنسان، فأنظر إليه لإنسانيته قبل كلِّ شيء، وبعد كونه إنساناً، تلبَّس بدين معيَّن وبطائفة معيَّنة وبقومية معيَّنة وبمذهب معيَّن، ومن ثمَّ برأي معيَّن وبفكر معيَّن، ولكنه وقبل كلِّ هذه الأمور هو: إنسان.

لهذا من يحمل المنهج الإلهي لابدَّ أن يكون إنسانياً، تماماً أول ما يشغله وطنه، وإنسان وطنه أثمن إنسان عنده، ولكن هذا لا يعني التقليل من أهمية الإنسان الآخر، أبناء الشعوب الأخرى، أبناء

الأوطان الأخرى، أيَّاً كان هؤلاء.

لهذا نرى الحديث الشريف يقول:-

﴿ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟..﴾

قالوا: بلى يا رسول الله؟!.. قال:-

﴿إفشاء السلام في العالَم﴾

نحن بمقدار ما نعيش السلام فكراً وقولاً وعملاً، بمقدار ما نعيش السلام مع الذات المقدَّسة -(الذي هو السلام، وهو الله ﷻ)- ونتعايش معه، فإنَّنا نأخذ من نوره نور السلام، وبمقدار ما نأخذ من نوره نور السلام، فإنَّنا نتمكَّن أن نترجم هذا السلام ما بيننا وبين الآخرين، وأن نفشي السلام، وأن نشيع السلام، وأن نعمل من أجل السلام، وأن نُحقِّق السلام ما بيننا وبين الآخرين، مُؤكِّدين أهمية وضرورة ثقافة التعايش السِّلمي الإلهي الوطني الإنساني.

هذا التأكيد على السِّلْم وعلى السلام، من قِبَل الإسلام الحبيب، في تربيته للفرد وللأسرة وللمجتمع وللشعب وللأُمَّة، ليس مسألة اعتباطية وليس مسألة غريبة، وإنَّما يعمل الإسلام من أجل تربية الإنسان -(فرد وجماعة)- على تبنِّي ثقافة السِّلْم والسلام.

ولهذا ليس اعتباطاً أن يَرِد في الحديث الشريف: إذا جاءكم أحدٌ وتكلَّم معكم أو بدأ بالكلام قبل السلام، فلا تُجيبوه.

كأنَّ الإسلام يريد أن تكون ثقافة السِّلْم والسلام هي الثقافة الأساسية في المجتمع، وهي الثقافة الشائعة وهي الثقافة الأصل،

وهي الثقافة الأساس، عليها بقية الأمور تُبنى.

لهذا يُؤكِّد الإسلام في تربية الأُمَّة على الأُمور التالية:

أولاً:- إنَّ الذي لا يحمل ثقافة السِّلْم والسلام، لابدَّ أن يكون غريباً عن جسم المجتمع.

ثانياً:- غريباً عن جسم الشعب.

ثالثاً:- غريباً عن جسم الأُمَّة.

يعمل الإسلام من أجل أن يكون هذا الإنسان حالة شاذَّة، حالة غير مقبولة، حالة يُشار إليها بعلامات الاستفهام، لأنَّها حالة سلبية، خلاف بناء الإنسان السليم، ولهذا يُشار إليه بعلامات الاستفهام، لأنَّه خالف الأصل في تكوينه، ومَن يخالف الأصل في تكوينه، يعني: لديه أو عنده ما يُسمَّى اليوم بأجندات معيَّنة، عنده تخطيط لهذا.

يعني: يحمل ثقافة سوداوية، يعني يعمل من أجل زرع فتنة بأسماء متعدِّدة، سواءاً كانت طائفية ومذهبية، أو قومية وعرقية، أو حزبية وسياسية، ويحمل مبدأ (فَرِّقْ تَسُدْ)، يحمل ثقافة الفتنة، الإنسان بما لديه من عقل وفكر، ونفس وروح، وقابليات وقدرات، هذا الإنسان بكلِّ هذه الأمور هو ظرف: إمَّا ظرف يستجيب للتربية الإلهية التي هي ضمن تكوينه، عند ذلك يكون متَّجهاً إلى ثقافة السِّلْم والسلام.

وإمَّا عند عدم استجابته لهذه الثقافة الإلهية، فسيكون ظرفاً

لجانب الشرِّ، يكون آلة شيطانية، ويمكن أن يتوسَّع ويكون محوراً للشرِّ، ومحوراً لثقافة الأنا والذات، التي هي صورة من صور الثقافة الشيطانية.

لهذا الإسلام عندما يأمر ويُوجِّه ويُرشِد الأُمَّة في كيفية تعاملهم مع هؤلاء النفر الذين لا يحملون ثقافة السِّلْم والسلام، ويبدأون بالكلام قبل السلام، يقول الإسلام للأُمَّة، يقول للناس جميعاً: لا تُجيبوه، همِّشوه، أعرضوا عنه، لا تصغوا إليه، لا تستمعوا إلى كلامه، لأنَّه لا يُريد بالمجتمع خيراً، ولا يُريد للشعب صلاحاً، ولا يُريد أن يرتقيَ بالأُمَّة، حتى تكون خير أُمَّةٍ أخرجت للناس، ولا يحمل ضرورة العمل من أجل أن تكون الأُمَّة أُمَّة الوسط، والتي يشير إليها القرآن الكريم:-

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[1]

فهو لا يريد أُمَّة الوسط، لأنَّ أُمَّة الوسط هي أُمَّة الاعتدال، لأنَّ أُمَّة الوسط هي تعني: الوسطية في كلِّ شيء، ولهذا لا يحمل معه ثقافة السِّلْم وثقافة السلام، وتكون النتيجة والمطلب الإلهي من الأُمَّة: عدم التفاعل مع هذه النماذج، وعدم الإعتناء بها، وعدم إعطائها من الوجود ما لا تستحقُّ.

نبيِّن ذلك من أجل ألاَّ يُفهَم أنَّ الإسلام بتوجيهه لا يعتني

---

[1] سورة البقرة/آية/١٤٣.

بكرامة الإنسان أو بِحُريَّة فِكر الإنسان، فليس هناك أوضح من الإسلام في قبوله للآخر، عندما يقول وبكلِّ وضوح وبكلِّ صراحة:-

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[١]

وعندما يقول وبكلِّ صراحة:-

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٢]

لكن بنفس الوقت يريد الإسلام أن يُؤكِّد على المنافذ السلبية التي يمكن أن تُهدِّم المجتمع، وتُهدِّم الشعب، وتُهدِّم الأُمَّة، وتُهدِّم الفكر الإيماني الإنساني الوطني، ولذلك يُشدِّد في هذا الجانب ويقول:

إذا تكلم أحدٌ معك قبل السلام فلا تُجبْه واتركْه، ولا تعطِه المجال الأوسع، لأنَّك إن أجبته فسيكون هناك كلام متبادل، ولهذا المطلوب: ألاَّ تعطيه سعة من الوقت، ولهذا:

أولاً: لا تُجبْه.

ثانياً: لا تَدْعُهُ إلى طعامك، لأنَّه إذا دعوتَه إلى طعامك، سيأخذ مساحة ولا يدري كيف سيفرغ ما لديه من سموم تُؤثِّر على سلامة الإنسان والمجتمع.

---

[١] سورة الكافرون/آية/٦.

[٢] سورة الشورى/آية/١٥.

السلام
مرايا الرحمة الإلهية

دائماً يُؤكِّد الإسلام على ضرورة ثقافة الإنسان للسِّلْم والسلام، ولابدَّ أن يكون أساساً لمنطلقاته الإيمانية، وأساساً لمنطلقاته لبناء الحياة الإلهية الإنسانية الوطنية، سواءاً كان فرداً أو مجتمعاً أو أمَّة أو شعباً.

لهذا يُؤكِّد على الفرد ويُؤكِّد على الأسرة، ومن ثَمَّ يُؤكِّد أنَّ المطلوب: أن تَسَعَ ثقافةُ السِّلْمِ والسلامِ العالَمَ بأسره.

التعارف.. غايته السلام

ذكرنا الحديث الشريف:-

﴿ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟..﴾

قالوا: بلى يا رسول الله؟!.. قال:-

﴿إفشاء السلام في العالَم﴾

كان النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وكأنَّه جالس بين أهل بيته وأصحابه، وكان يتحدَّث معهم عن المجتمع، وعن كيفية بناء المجتمع، وعمَّا يمكن أن يكون هناك من سلبيات، من أجل أن تتجنَّبها الأُمَّة والمجتمع بشكل عام، وما يمكن أن تكون هناك من

إيجابيات من أجل أن تحرص عليها الأُمَّة والمجتمعات بشكل عام.. وضمن هذا الجو من التربية الإلهية للمجتمع جاء هذا الحديث، فقال لهم:-

﴿ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟...﴾

ودائماً في البلاغة، هذا الأسلوب من الأساليب التي تجلب انتباه المستمعين، تجلب انتباه الموجودين، تجلب انتباه الحضور، وكأنَّ هناك مسألة مهمَّة:-

﴿ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟...﴾

فَلم يأتِ ضمن الاسترسال في الحديث، وضمن جملة قبلها وبعدها، وإنَّما جاء بصيغة إثارة الحاضرين وإثارة المستمعين وتشوُّقهم إلى الجواب، إلى الردِّ، إلى النتيجة.

ولهذا يقول لهم:-

﴿ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟...﴾

جلبَ الأنظار، جلبَ الأذهان والعقول، ولهذا يمكن أن يكون الكلُّ أجابوه: بلى يا رسول الله؟!..

فقال:-

﴿إفشاء السلام في العالَم﴾

وهذا -(أي: (**إفشاء السلام في العالَم**))- يضع أمامنا النصَّ القرآني الشريف الذي هو الخطاب الإلهي للنَّبيِّ الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) عندما يقول:-

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]

ومعنى الآية بشكل موجز:

إمَّا أن يكون السلام هو: الرحمة للعالَمين بالشكل الذي يقول عنه في الحديث الشريف:-

﴿ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟...﴾

ويكون الخبر هو:-

﴿إفشاء السلام في العالَم﴾

يعني: السلام هو الرحمة التي لابدَّ أن تصل من السماء، من ربِّ السماء وربِّ الأرض وربِّ الكون وربِّ الموجودات بأجمعها إلى كلِّ الوجود، فالسلام هو: الرحمة الإلهية.

وهذا ينسجم كثيراً مع السلام الذي هو الاسْم الإلهي، وأنَّ هذا الاسْم الإلهي لابدَّ أن يصل إلى كلِّ الوجود، يصل بمعناه، يصل بثقافته، يصل بتربيته، يصل بناءاً للإنسان، وبناءاً للأُسرة، وبناءاً للمجتمع، وبناءاً للشعب والشعوب، والأُمَّة والأمم، بناءاً للبشرية... من حيث الدين، لأنَّه لا إكراه في الدين، يعني: لا يُجبَر أحدٌ على عقيدة، يُوضِّح العقيدة ولا يُجبَر أحدٌ على العقيدة.

ولكن بالنسبة إلى السِّلْم والسلام يُوضِّح ويُحتِّم ذلك، لأنَّ اللهﷻ خَلَقَ الإنسان بعد أن أحبَّه، وما دام أنَّ اللهﷻ أحبَّ الإنسان فيريد له السِّلْم ويريد منه السلام ويريد له السلام: مع نفسه، وما

[1] سورة الأنبياء/آية/١٠٧.

بينه وبين أخيه الإنسان –(فرد وجماعة).

بذلك نرى أنَّ أفضل وأحسن وأعظم أخلاق أهل الدنيا والآخرة هو: إفشاء السلام، نشر السلام، بثُّ السلام، التثقيف على أساس السِّلْم والسلام.

أمَّا تعدُّد الآراء فمسألة تكوينية، ولكن تعدُّد الآراء، الله ﷻ أعطاها صفة معيَّنة، وهي: ثقافة التعارف، التي هي نوع من أنواع ثقافة السِّلْم والسلام.

هذا التعارف أشارت إليه الآية الكريمة:–

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]

ولكن أساس عملية العلاقة ما بين المكونات هو: التعارف، وقد بيَّنَّا أنَّ معنى التعارف هو: الحوار، من أجل أن تعرف الآخر وليس من أجل أن تُغيِّر الآخر، من أجل أن يعرفك الآخر وليس من أجل أن يُغيِّرك الآخر، وبذلك يكون تعدُّد الآراء نوع من أنواع الاختلاف وليس الخِلاف، وعند ذلك يبقى في دائرة السِّلْم والسلام، ولا يخرج منها إلى دائرة العدوان والعنف وأنواع الاعتداء، ولهذا يقول:–

﴿ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟...﴾

---

[1] سورة الحجرات/آية/١٣.

ويكون الخير هو:-

﴿إفشاء السلام في العالَم﴾

شريعة.. السلام والرحمة

وَرَدَ في حديثٍ مبارك:-

﴿السلام اسْم من أسماء الله (تَعَالَى)، فأفشوه بينكم﴾

كما يعلم الجميع أنَّ هناك تسعة وتسعين اسْم سُمِّيت بأسماء الله الحسنى، وهي سُمِّيت كذلك لأنَّها كلُّها بأجمعها مذكورة في القرآن الكريم، ولكن له (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) أسماءاً أخرى غير مذكورة في القرآن الكريم، ولكن لماذا نرى أنَّ هناك الكثير من الأحاديث الشريفة والروايات المباركة تُؤكِّد على اسْم السلام؟!..

الجواب نقول:

أنَّ مسألة السلام مفردة أساسية لكلِّ الأسماء الأخرى، السِّلْم والسلام أولاً في علاقتك مع اللهﷻ في الجانب الإيماني، وعلاقة العبد مع ربِّه، فعلاقة ممكن الوجود مع واجب الوجود إذا كانت فيها سِلْم وسلام يعني: عبودية، يعني: طاعة، يعني: استجابة، يعني: محبَّة.. وإذا كانت ما بين الإنسان والإنسان الآخر، فهي نتيجة الإيمان باللهﷻ، فستكون احتراماً لخليفة اللهﷻ الذي هو الإنسان، حتَّى لو يجمع ما بيني وبينه الإيمان الظاهري، لأنَّنا أكَّدنا: أنَّ الإيمان التكويني موجود عند كلِّ إنسان وفي كلِّ إنسان، ضمن خَلْقه

وتكوينه، فهو مؤمن ضمن فِطرته، تلك الفطرة التي يُؤكِّد عليها القرآن الكريم عندما يقول:-

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[١]

والتي يُؤكِّدها الحديث الشريف الذي يقول:-

﴿كلُّ مولود يُولَد على الفطرة﴾

وبذلك، سواءاً كانت العلاقة مع إنسان مؤمن لابدَّ أن أراه خليفة لربِّ العالمين، أو إنسان غير مؤمن فهو إنسان كذلك يكون خليفة لربِّ العالمين، لأنَّ اللهﷻ عندما أجاب الملائكة في مسألة خَلْقه للإنسان، قال لهم:-

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢]

وكان الإستفسار في موضوع خَلْق الإنسان: لماذا تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟!..

﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[٣]

ولكن كان الجواب الإلهي:-

﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٤]

---

[١] سورة الروم/آية/٣٠.

[٢] سورة البقرة/آية/٣٠.

[٣] سورة البقرة/آية/٣٠.

[٤] سورة البقرة/آية/٣٠.

الإنسان المؤمن باللهﷻ هو الخليفة المثالي، والإنسان غير المؤمن هو كذلك خليفة ربِّ العالمين، وهذا المعنى يُؤكِّده الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام عندما قال لمالك الأشتر:-

﴿واعلم أنّ الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخَلْق﴾

إذن، هذا التأكيد الإلهي الذي وَرَدَ سواءاً كان في القرآن الكريم (وذكر مفردة السلام لمرَّات متعدِّدة)، أو هناك من الأحاديث الشريفة أو الروايات المُباركة التي تُؤكِّد على مفردة السِّلْم والسلام، وهنا هذا الحديث الذي بين أيدينا يُؤكِّد ضرورة انتشار كلمة السلام لأنَّها من أسماء اللهﷻ، ووجود هذه الأحاديث يتناسب مع الآيات القرآنية، لأنَّ الرسالة الإلهية هي أساسها: السلام، لأنَّ أساسها: الرحمة:-

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]

إذن أساسها: السلام.

كذلك الأحاديث الشريفة الواردة عن النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) تتناسب مع ذلك، لأنَّه (عليه أفضل الصلاة والسلام) يقول:-

﴿أنا الرحمة المهداة﴾

والرحمة هي: السلام، والسلام هو: الرحمة، أو أنَّ السلام هو: مفردة من مفردات الرحمة.

---

[1] سورة الأنبياء/آية/١٠٧.

بالسلام.. نبني حياة إلهية

بعد ذلك الإسلام أراد من الأُمَّة، من البشرية ككلٍّ، من المجتمعات بكلِّ أفرادها: أن تتبنَّى مفردة السِّلْم والسلام، ومعنى التبنِّي دائماً يعني: حملْ رسالة وترجمتها في الحياة، حمل رسالة بشكلها العملي وليس بشكلها النظري.

لذلك نرى الحديث الشريف يقول:-

﴿إنَّ أَوْلى الناس بالله ورسوله مَن بدأ بالسلام﴾

لأنَّ الذي يبدأ بالسلام وكأنَّه هو الذي ينشر ثقافة السلام، هو الذي ينشر الاسْم الإلهي، هو الذي ينشر المعنى الذي أراده الله ﷻ أن يكون جزءاً أساسياً ورئيسياً في بناء الإنسان، وبناء المجتمع والمجتمعات في كلِّ زمان ومكان.

لهذا، هذا الإنسان الذي يحمل هذه الرسالة ويبدأ الآخرين بها، هو الذي يكون أقرب إلى الله ﷻ وأقرب إلى النَّبيِّ الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم).. ودائماً القرب لله ﷻ والقرب للنَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) هو يعني: القرب للرسالة، والقرب للرسالة يعني: فَهْم الرسالة وحملها وتفعيلها، من أجل بناء الحياة، ولهذا صار الذي يبدأ بالسلام هو: أَوْلى الناس بالله وبالرسول، لأنَّه فعَّل الرسالة.

المطلوب: أن يكون حبُّنا لله ولرسوله كما في الحديث الشريف: (**والله لا يؤمن أحدكم حتَّى يكون الله ورسوله أحبَّ إليه من**

نفسه وأهله وماله)، المطلوب: ألاَّ يكون حبُّنا حبَّاً صوفياً عرفانياً، وإنَّما حبٌّ لبناء الحياة، حبٌّ لحمل الرسالة وتجسيدها في المجتمع، فالإسلام جاء من أجل بناء مجتمع، من أجل بناء شعب، من أجل بناء أُمَّة بكلِّ أفرادها على قِيَم إلهية إيمانية وطنية إنسانية، تُوصِلهم إلى السعادة في حياتهم، إلى الهناء في حياتهم، تُوصِلهم إلى ثقافة التعايش السِّلْمي.

البدء بالسلام.. شعار الإنسانية

هناك بعض النصوص وكأنَّها تلتفت إلى بعض النوازع التي يمكن أن يعيشها الإنسان في داخله، هذه النوازع لها علاقة بدرجة ما بـ(الأنا والذات).

هناك بعض التصورات في بعض مجتمعاتنا: أنَّ الذي يبدأ بالسلام هو الأقل منزلة، الأقل مكانة، الأقل أهمية، ولهذا نرى البعض يُحْجِم عن أن يبدأ بالسلام نتيجة وجود هذا التصور، نتيجة وجود هذا الالتباس، نتيجة وجود عدم الوضوح.

فمن ناحية عدم وضوح، ومن ناحية تأثيرات لِـ(الأنا والذات) واضحة أو غير واضحة، فلا يبتدِئ بالسلام.

مقابل ذلك، عندما لا يبتدِئ هو بالسلام، يمكن أن يكون الآخر مثله، أو أقل أو أكثر منه بقليل، وبذلك ستكون فجوات، هذه الفجوات تُسبِّب سلبيات مجتمعية كثيرة، إلى هذا المعنى، إلى هذه الصورة من صور المجتمع الموجودة في كلِّ زمان وكلِّ مكان، ينظر الحديث الذي يقول:-

﴿أطوعكم لله الذي يبدأ صاحبه بالسلام﴾

كأنَّه يريد أن يقول للإنسان، لهذا الإنسان ضمن المجتمع: أنت لا تنظر للإنسان أمامك فقط، وإنَّما لابدَّ أن تنظر إليه كإنسان، وكأنَّه

خليفة لربِّ العالمين، فبمقدار طواعيتك لله، بمقدار عبوديتك لله، بمقدار طاعتك لله، بمقدار حبِّك لله، بمقدار استجابتك لله، بمقدار تفعيلك للمنهج الإلهي، ابْدَأه بالسلام، وكُنْ أكبر من النزغات السلبية التي يمكن أن تأتي في داخلك، وكن أكبر من تأثيرات (الأنا والذات) بكلِّ صورها وبكلِّ أشكالها.

﴿أطوعكم لله الذي يبدأ صاحبه بالسلام﴾

بيَّنَّا أنَّ عدم ابتداء الإنسان لأخيه الإنسان بمفردة السلام -(والتي هي شعار الإسلام الحبيب من جهة، وشعار الإنسانية ككلٍّ من جهة أخرى)- يعني: أنَّ هناك شيئاً مُلتفتاً إليه أو غير مُلتفت إليه من (الأنا والذات).

وهذا ما يُؤكِّده الحديث الشريف الآتي والذي يُشخِّص هذه الحالة، ويُبيِّن احتمالية أن يكون نتيجة هذا المرض وهو (الأنا والذات)، ويُعبِّر عنه الحديث بالكِبْر، فيقول:-

﴿البادئ بالسلام بريء من الكِبْر﴾

وهذا هو المطلوب من الإنسان وكلِّ إنسان: أن يعيش عبوديته أولاً، ويعيش طاعته ثانياً، ويعيش استجابته لله ﷻ في تفعيل المنهج إلى عمل ثالثاً، ويعيش حبَّه لله ﷻ، يعني: سيعيش حالة الاستسلام لله ﷻ في الداخل والخارج، في القول والعمل، ويبقى إيمانياً في علاقته مع الله ﷻ بين الخوف والرجاء، على قاعدة الحديث الشريف:-

﴿لو أنّ أحدكم أتى بعبادة الثقلين، فلا يدل على الله شيئاً.. ولو أتى أحدكم بذنوب الثقلين فلا ييأس من رحمة الله﴾

إذن، لابدَّ أن يبقى ما بين الخوف والرجاء -(تماماً رجاؤه أقوى)- ومعنى بقائه ما بين الخوف والرجاء: ألاَّ يرى لعمله وزناً وأهمية، فإذا كان يعيش هذه الفكرة بشكلها السليم، إذن لماذا الكبر؟!.. وعلى مَن يتكبَّر؟!..

نحن نعلم: أنَّ قبول أعمال الإنسان وعدم قبولها يتحكَّم به فقط الله ﷻ، بمقدار صدقه وإخلاصه، ولهذا الله ﷻ يقول:-

﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[1]

لأنَّه ضمن التقوى، مسألة الإخلاص والصدق مع الله ﷻ، والإخلاص في العمل، أمَّا إذا لم يكن هناك إخلاص وصدق، فالعمل يكون مجوَّفاً، فالعمل يكون غير صالح، والذي يصعد إلى الله ﷻ هو العمل الصالح:-

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[2]

أمَّا العمل من أجل الأنا، من أجل الذات، من أجل أمور أخرى، يمكن أن تكون مفيدة للدنيا، ويمكن أنَّ الله ﷻ يثيبه دنيوياً عليها، ولكن ليس له في الآخرة من نصيب، هذه مسألة داخلية للإنسان لا يعلمها إلاَّ الله ﷻ، ولهذا يقول:-

---

[1] سورة النجم/آية/٣٢.

[2] سورة فاطر/آية/١٠.

﴿فَلاَ تُـزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾

فإذا كان ليس للإنسان أن يُزكّي نفسه، إذن لمـــاذا الكِبْـــر؟!.. لماذا التكبُّر؟!..

﴿البادئ بالسلام بريء من الكِبْر﴾

لهذا الإنسان الذي ينشر ثقافة السلام، وينشر الإسم الإلـهـــي بما يحمل من معانٍ ويكون ناكراً لذاته، له من الثواب والأجر ما لا يُعدُّ ولا يُحصى.

ورد في قول للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:-

﴿للسلام -(يعني من قام بالسلام)- سبعون حسنة، تسعة وستون للمبتدئ، وواحدة للرادّ﴾

لأنَّه ناكر لذاته، لأنَّ علاقتـــه مـــع الله عز وجل عبوديـــة وطاعـــة وإستجابة ومحبَّة، لأنَّه حمل رسالة إلهية وفعَّلها في حياته، ولهـــذا ثوابه (تسعة وستون من سبعين).

ومن أجل حالة نشر الاطمئنان في المجتمع، نشر الهدوء فـــي المجتمع، نشر الإستقرار في المجتمع، يُؤكِّد قولاً آخراً للإمام أميـــر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فـــي ضـــرورة وأهميـــة الســـلام بالنسبة إلى الداخل على أيِّ مجتمع وأيِّ جماعة، مؤكِّداً حالة يمكن أن يعيشها المجتمع ويعيشها هؤلاء الذين دخـــل علـــيهم الـــداخل، فيقول (عليه السلام):-

﴿لكلّ داخل دهشة فابدؤوا بالسلام﴾

(**لكلّ داخل دهشة**): مرة تكون هذه الدهشة بسبب أنَّهم ما كانوا يتوقَّعون مجيئه، سواءاً كانوا يعرفونه، أو لا يعرفونه، من نفس المدينة، أو من مدينة أخرى، من نفس الدين، أومن دين آخر، من نفس الطائفة، أو من طائفة أخرى، من نفس القومية، أو من قومية أخرى، من نفس الفكر، أومن فكر آخر، هذه هي التعدُّدية الموجودة في كلِّ المجتمعات، ولهذا يمكن أن يتفاجأوا.

قول الإمام عليه السلام يُعبِّر عنها حالة الدهشة، بعرفنا نقول: حالة المفاجأة، وخصوصاً إذا ما كان وحتَّى الآن الكثير من الدواوين والجلسات مفتوحة للآخر، فيقول:

أنَّ المطلوب من الفرد من أجل ألاَّ تحصل الدهشة من المجتمع، من الحضور، لا تحصل المفاجأة، المطلوب: أن يُسلِّم تأكيداً لثقافة الاطمئنان والاستقرار التي هي أجزاء من السلام، ولهذا يقول الإمام عليه السلام:-

﴿لكلّ داخل دهشة فابدؤوا بالسلام﴾

عندما تبدأ بالسلام تكون الحالة طبيعية، عندما تبدأ بالسلام تكون قد أعلنتَ الخير ما بينك وبين الآخرين، ما بينك وبين من دخلت عليهم، المحبَّة لهم، عدم العداء، عدم العدوان، أعلنتَ الخير بعيداً عن الشرِّ، كلُّ ذلك من أجل أن تتكرَّس كلَّ الجهود بكلِّ الصور من أجل الوصول إلى ثقافة التعايش السِّلْمي.

السلام... ثقافة لا عادة

لكثرة اهتمام المنهج الإلهي في قرآنه الكريم وبسُنَّة نبيِّه(صلى الله عليه وآله وسلم) الشريفة، وبالروايات العصموية للأئمَّة(عليهم السلام)، أكَّدت وبأشكال متعدِّدة على أهمية السلام والسِّلْم في جعله أساساً للتعامل مع المجتمع، تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان.

كأنَّ الإسلام يريد أن يقول:

أنَّ مسألة السلام والسِّلْم ليست مفردة عملية كبقية المفردات الحياتية، وإنَّما هي أساس، هناك مفردات حياتية لابدَّ أن نلتفت إليها في المنهج الإلهي، وأن نعمل بها ضمن المنهج الإلهي في تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان، وعلى سبيل المثال:

عندما نبيع شيئاً ما فلابدَّ أن يكون البيع واضحاً، بدون غشٍّ، وألاَّ يكون المبيع محرَّماً ولا مسروقاً ولا مغصوباً، ولا فيه أيٌّ نوع من أنواع التدليس -(كما يُعبَّر عنه في علم الفقه)- ولكن كلَّ هذه الشروط تصرفات ظاهرية، ممكن أن تعود تصرفات مسألة البيع ما بين الإنسان وأخيه الإنسان إلى مفردة الصدق كأساس، فمع وجود مفردة الصدق أساساً للبيع، يكون المبيع ليس فيه غشٌّ ولا عيناً نجسة، ولا من المحرَّمات، ولا مغصوباً ولا مسروقاً، ولا فيه أيَّ نوع من أنواع الإيهام للمشتري -(هذه مباحث فقهية في مسألة البيع، ولكن يمكن كلَّ هذه المباحث يمكن أن تجتمع على أساس

الصدق في البيع مع المشتري).

كذلك مفردة السلام، الشريعة الإسلامية أرادت لها ومنها أن تكون أساس تعامل وليس فقط هي مسألة تعاملية، يعني: مرة ننظر إلى مسألة السلام كنتيجة، ومرة ننظر إلى مسألة السلام كدافع، إذا كانت كدافع تكون أساساً، وإذا كانت فقط كنتيجة تكون مسألة عابرة، لأنَّ الفرق بين الدافع وبين النتيجة: أنَّ الدافع من شأنه الدوام والإستمرار، لأنَّه دائماً الدوافع تعني: اقتناع الشخص إلى درجة كبيرة حتَّى أوصلت الإنسان الذي يحمل هذه الدوافع إلى أن يترجمها عملياً وبسلوكه وترجمتها لها عدَّة صور.

أمَّا إذا كان تعاملاً آنياً، فيمكن أن يكون في وقت ولا يكون في وقت آخر.. إذا كان التصرف آنياً، يمكن أن يترجم هذه المفردة مع هذا الإنسان ولا يترجمها مع الإنسان الآخر.

ولنقل بشكل أوضح: مرة تكون هي ثقافة، ومرة تكون هي عادة أو تصرف، المطلوب الإلهي من الأمَّة بكلِّ أفرادها: أن تكون مفردة السلام ثقافة، ودائماً الثقافة تعني مترسِّخة في ذات الإنسان.

لهذا عندما نرى أيَّ شخص يتصرف بتصرفات معيَّنة، ونسأل عن هذه التصرفات، يكون الجواب: أنَّ هذه ثقافته، إذن الثقافة أساس لتصرفات عملية ظاهرية، نعم قد تختلف بين إنسانٍ وآخر، نتيجة وجود هذه الثقافة، فالإسلام يريد من الأُمَّة بكلِّ أفرادها: أن تكون مفردة السلام ثقافة لها، وعندما تكون مفردة السلام ثقافة

لها، يعني: هناك اعتقاد بأنَّ السلام مسألة أساسية في علاقتنا مع اللهﷻ، وعلاقتنا مع الإنسان، وعلاقتنا مع الوطن.

كلَّما حاولنا أن نقرِّب من مسألة كيفية البيع الذي أساسه الصدق، فمن حقِّ الإنسان أن لا يبيع لزيد لكنَّه يبيع لعمر، ولكن ليس من حقِّ الإنسان ألاَّ يصدق، فلا يجوز ولا يصحُّ منه الكذب.

كذلك بالنسبة إلى مفردة السلام، السلام المطلوب أن يكون أساساً عقائدياً، والذي أوصلنا وبوضوح إلى أنَّ مسألة السلام مسألة عقائدية، كون أنَّ السلام اسم من أسماء اللهﷻ.. كيف أنَّ اسماً من أسماء الله، الخالق، وتعاملي مع الإنسان الآخر، بل وتعاملي مع كلِّ الموجودات، بل وتعاملي مع الكون أجمع، على أساس خالقية الله لهذا الكون، على أساس أنَّ الله هو الخالق.

إذن هناك أساس الذي هو أحد أسماء الله الحسنى (الخالق)، هذا الاسْم لابدَّ أن يكون أساساً في تعاملي مع كلِّ ما خلق ومع كلِّ من خلق، من إنسان ومن موجودات أخرى.

كلُّ ذلك من أجل توضيح الفكرة حتَّى تكون عملية أكثر، وأنَّ مفردة السلام ليس مفردة انتقائية، وليس مفردة مزاجية، بالنسبة لكلِّ البشر، وخصوصاً بالنسبة لِمَن يعتقد أنَّه يحمل الإيمان، وعندما نقول أنَّه يعتقد أنَّه يحمل الإيمان، يعني: يعتقد أنَّه يحمل إيماناً عملياً حياتياً، أمَّا تكوينياً فليس هناك إنسان لا يحمل الإيمان، باعتبار وجود الفِطرة فيه.

الخلاصة

١. السلام مفهوم ذو أصل عقائدي.

٢. السلام عنوان لإشاعة السلام بين الأفراد والجماعات.

٣. السلام ثقافة تُنمِّي روح التعاون والأُلفة بين الأفراد والجماعات.

٤. لأنَّ السلام أحدُ أسماء الله الحُسنى، فهو عنوان لبناء علاقة إنسانية حميمة بين الإنسان وأخيه الإنسان، تمتاز بالأُلفة والمَحبَّة والتعاون من أجل العيش بحياة كريمة.

٥. إنَّ الفهم العميق لمعنى السلام يُسهِم بشكلٍ مباشر في منع حدوث الصراعات الفكرية والثقافية والسياسية والعشائرية، وأيّ صراع آخر تكون نتيجته حصول مأساة إنسانية لا مبرر لها.

٦. لأنَّ الإسلام المجيد دين الفِطرة، لذا أصبح لِزاماً على كلِّ مسلم وكل من استسلم لله الالتزام بتعاليم الإسلام الإنسانية، والإسلام أكَّد على إفشاء السلام بين الأشخاص والجماعات والشعوب والأُمم.

المبحث الرابع

كونٌ.. تطلَّع للسلام

لبيكِ.. دعوة السلام

السلام كالإيمان.. عقيدة وعمل

كونٌ.. تَطلَّع للسلام

١- أولاً: السلام مع الإنسان

مسألة السلام مسألة أساسية عقائدية، وكما يُعبَّر عنها اليوم عَقدية، ينطلق منها إلى صور للتعامل، إلى صور للتعارف، إلى صور لمعرفة الإنسان لأخيه الإنسان، بل إلى معرفة الإنسان للكون، فمسألة السلام من أوضح مصاديقها: علاقة الإنسان مع الإنسان، كما أنَّ مصاديق السلام أوسع بكثير، فهي علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، وكأنَّها مسألة مفروغ منها في مسألة السلام، لأنَّه مثيله، لأنَّه أيُّ الإنسان وأخيه الإنسان، هما من أب وأُمٍّ واحدة، ولأنَّهما كأسنان المشط، كما عبَّر عن ذلك الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) عندما قال:-

﴿أبناء آدم كأسنان المشط﴾

وعندما قال (عليه أفضل الصلاة والسلام) مخاطباً الناس أجمعين:-

﴿كلُّكم لآدم وآدم من تراب﴾

٢- ثانياً: السلام مع الحيوان

مفهوم السلام أوسع من ذلك، مفهوم السلام ليس فقط مع

الإنسان فحسب، وإنَّما يشمل حتَّى نوع التصرُّف مع الحيوان وكلِّ حيوان.

الإنسان هو حيوان ولكنَّه حيوان ناطق، اللهﷻ أكرمه بالعقل ولهذا أعطاه النُّطق، ونتيجة ذلك: جعله خليفته في أرضه، ونتيجة ذلك: جعل له الثواب إنْ أحسنَ، وجعل عليه العتاب أو العقاب إنْ أساء، ولكن الأصل البشري باعتبار أنَّ الإنسان اجتماعي بالطبع كما يقول علماء الاجتماع، إذن من الطبيعي أن يكون سلام ما بينه وبين الإنسان الآخر، ولكن مفهوم السلام الإلهي أوسع من هذا، مفهوم السلام الإلهي، المطلوب من الأُمَّة بكلِّ أفرادها: أن يكون هناك سلام ما بينه وبين الحيوان كذلك، وألاَّ يظلم الحيوان.

لهذا وَرَدَت أحاديث وروايات كثيرة في النهي عن ضرب الحيوان من دون سبب، من دون موجب، خصوصاً إذا لم يكن من الحيوانات المؤذية أو الضارَّة أو المفترسة.

هناك تشريعات في هذا الجانب، الشريعة أمرت الإنسان بها، من أوضح وأهم هذه التشريعات والتي هي تعني مسألة السلام ما بين الإنسان وبين الحيوان، هي:

النهي عن ذبح الحيوان أمام أُمِّه، وفي أحاديث شريفة أخرى للنَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وروايات مباركة للأئمَّة الطاهرين(عليهم السلام) تُعمِّم هذا النهي والتحذير، وتنهى عن ذبح أيِّ حيوان أمام الحيوان الآخر، هذا نوع من أنواع السلام.

كذلك عدم العدوانية ما بينك وبين الحيوان، حتَّى أنَّ مسألة أكل اللحم لمن جَوَّز اللهﷻ أكل لحمه تلك هي تكريم للإنسان، وليس تقليلاً من الحيوان، لهذا كما أنَّه جوَّز ذباحته وأكل لحمه، كذلك بالمقابل:

أولاً: حرَّمَ صيد اللهو، لأنَّ صيد اللهو يعني: عدم وجود الحاجة إليه، وإنَّما فقط من أجل أن يلهوَ وأن يشعر هو بالأُنس بتعذيب هذا الحيوان، وهذا خِلاف ثقافة السلام ما بين الإنسان والحيوان، فإذا كان صيداً فقط من أجل التَّلهِّي وقتل الفراغ وقتل الوقت، عند ذلك يكون من المُحرَّمات، وكما قلتُ: أنَّ عدم جواز صيد اللهو هو نوع من أنواع التأكيد على مسألة السلام ما بين الإنسان والحيوان.. هذا أولاً.

ثانياً: عندما تلطَّف اللهﷻ على الإنسان وكرَّمه، بجواز أكل بعض اللحوم بعد ذباحتها بالشكل الشرعي، أمر أن تكون آلة الذبح آلة حادَّة من أجل ألاَّ تزيد في تعذيب الحيوان، في ألم الحيوان، وإنَّما تتمُّ عملية الذباحة وبسرعة، فمن شأن الآلة غير الحادَّة، أن يستمر الذابح في الحزِّ في عملية الذبح، وهذا ممَّا يُسبِّب ألماً للحيوان، وهذا خلاف المطلوب، المطلوب الإلهي: أن يكون الأصل: السلام ما بين الإنسان والحيوان.

وقد ذكرنا في بداية حديثنا عن السلام: أنَّ السلام والرحمة دائماً يَقترِنان، حيث أنَّ اللهﷻ أرسل رسوله الأعظم(صلى الله عليه وآله

وسلم) رحمةً للعالَمين بمعنى: سلاماً لكلِّ العالمين، وكيف أنَّه هو يقول عن نفسه:-

﴿أنا الرحمة المهداة﴾

بمعنى: أنَّه (عليه أفضل الصلاة والسلام) هو وشريعته شيء واحد، إذن هو بشريعته رحمة للبشرية، تحمل رايات العدل، وأهمُّ ركيزة للعدل: هو السلام.

وفي هذا الجانب، الحقيقة هناك أحاديث وروايات كثيرة ليس مجالها هنا ونحن نتحدَّث عن موضوع السِّلْم والسلام، ولكن نريد أن نُؤكِّد:

أنَّ مفردة السلام التي أرادها أن تكون ثقافة للمجتمع الإيماني الإنساني، ثقافة للشعوب، ثقافة للبلدان، للأوطان، هي لا تقتصر على علاقة الإنسان مع الإنسان، وإنَّما هي أوسع من ذلك، كذلك تذهب من الإنسان إلى الحيوان.

لهذا نرى أنَّ الإسلام نهى عن تصرفٍ كان عند العرب قبل الإسلام في شَرْح آذان الحيوانات، وكانت العرب قد اتَّخذتها كعلامة، فبعد أن جاء الإسلام نهى عن ذلك، لأنَّ فيه نوعاً من أنواع الأذى للحيوان، العدوان على الحيوان، والمفروض أن يكون هناك سلام ما بين الإنسان والحيوان، إلى درجة أنَّه يَحرُم حبْس الحيوان في أيِّ مكانٍ من دون أن تُوفِّر له الغذاء والماء، كذلك حرَّم بعض الألعاب التي كانت موجودة قبل الإسلام في عراك أو صراع أو

مصارعة ما بين الحيوانات أنفسها، وكانت دائماً تكون على صور الرهان، فحرَّم الإسلام ذلك، لأنَّها فيها وحشية، فيها إساءة للحيوان.

المطلوب الإلهي من الأُمَّة: أن يكون السلام مفردة أساسية للتعامل مع الكون، أشرف ما في الكون: الإنسان، وبعد ذلك يأتي الحيوان.

٣- ثالثاً: السلام مع النبات

بعد الحيوان يأتي النبات، وكما يعلم المتتبِّع أنَّ هناك الكثير من التشريعات الإلهية التي وردت ضمن أحاديث شريفة، وضمن روايات مُباركة عن موضوع النبات واحترام النبات وأهمية النبات، إلى درجة أنَّه ورد:-

﴿أكرِموا عمّتكم النخلة﴾

وهذا حديث شريف متواتر.

هناك أحاديث وروايات لأهمية وضرورة احترام السِّدرة، والذي نقوله ونذهب إليه: ضرورة احترام كلِّ شجرة مُثمرة، لأنَّ الشجرة المُثمرة فيها نوع من أنواع الإعجاز الإلهي، فلا يمكن أن يتصوَّر العقل ولا العلم على أنَّ هذه الشجرة التي هي أصلها عود، تُزرَع وتعطي هذه الثمرة تلك هي من قدرة الله ﷻ، وهناك أشجار متعدِّدة، كلٌّ له ثمر، تربة واحدة ويُسقى بماء واحد!...

إذن، دائماً الأشجار وخصوصاً المثمرة هي أدلَّة على قدرة الله ﷻ، كيف نتعامل مع هذه القدرة؟!... هل نتعامل بعداونية وعنف وإساءة؟!... أو نتعامل برحمة؟!...

المطلوب أن نتعامل معها بسلام ورحمة، ولهذا وَرَدَت في كثير من الأحاديث والروايات أنَّ الأشجار تُسبِّح لله ﷻ، كما أنَّ الحيوان يُسبِّح لله ﷻ... فالأشجار يجمعها مع الإنسان والحيوان: وجود النَّفَس، فكلُّهم يتنفَّسون: الإنسان يتنفَّس، والحيوان يتنفَّس، والنبات يتنفَّس... واختلف الحيوان عن النبات بالروح، واختلف الإنسان عن الحيوان بالعقل، ولكن الثلاثة تتنفَّس.

إذن، هناك أحاديث وروايات تُؤكِّد على ضرورة وأهمية السلام مع الأشجار، وليس فقط السلام، وإنَّما احترامها، ولهذا وَرَدَت الأحاديث والروايات في كراهة التغوُّط تحت الشجرة المثمرة.

وهذا دليل احترام وتقدير لهذه الشجرة، يعني: درجة أعلى من السلام، درجة أعلى من مفهوم السِّلْم في التعامل، وهذا الاحترام نتيجة أنَّها هي تحمل معجزة إلهية، هي تعكس قدرة إلهية.

بل أكثر من ذلك، في الأشجار هناك مُثمِر وهناك غير مُثمِر، الأشجار المثمرة لها أهمية باعتبار أنَّها صورة من صور الإعجاز الإلهي، وتعطينا مفردة واضحة لمفردات القدرة الربَّانية.

كما أنَّ هناك أشجاراً غير مُثمِرة، ولكن يُلاحَظ فيها أمران أساسيان:

الأمر الأول: كونها تتنفَّس، ونَفسها تسبيح، ولهذا لابدَّ أن يعيش معها الإنسان بسِلْم وسلام.

الأمر الثاني: أنَّ لها مهمَّة، وهذه المهمَّة هي مهمَّة خُلِقت من أجلها، أوجدها الله ﷻ من أجل هذه المهمَّة، بالتأكيد أنَّ هناك صوراً متعدِّدة لهذه المهمَّة، ولكن نذكر منها صورتين:

الصورة الأولى: هي أنَّها تكون سبباً لتغطية الشمس عن بعض المزروعات التي إن أصابتْها أشعة الشمس في الصيف فلا تستطيع أن تستمرَّ بالعيش في الحياة، فهذه الأشجار غير المُثمِرة (لأنَّ من شأنها أن تكون عالية وكبيرة وكثَّة)، الله ﷻ من جملة حكمته فيها، (ولا نعلم الحكمة بكاملها): أنَّه جعلها تُظلِّل أنواع الزرع الذي يحتاج إلى تظليل، من أجل إستمرارية حياة هذه الزرعة الصغيرة، ومن أجل أن يستفيد الإنسان من ثمرتها أو بعضها هي ثمرة، كالتي تُسمَّى بالخضروات، وأمَّا الحمضيات فدائماً هي تحتاج إلى مسألة التظليل، حتَّى تكبر.

الصورة الثانية: ضمن الحكمة الإلهية أنَّ الإسلام دائماً يعتني بالبيئة، ولهذا يحرص على سلامة البيئة، كلُّ ذلك من أجل توفير الحياة السليمة للإنسان، ولهذا أراد من أفراد البشرية، من أفراد الأُمم، من أفراد الشعوب، أن يعيشوا حالة السلام ما بينهم وبين هذه الأشجار، لأنَّ هذه الأشجار من أسباب حكمة وجودها: أنَّها تجعل البيئة بيئة صالحة، بيئة نظيفة، وهذا ما يُسمَّى بالحزام

الأخضر حول المدن، الصغيرة منها والكبيرة، وكيف أنَّ المدن التي التزمت بالحزام الأخضر دائماً تكون بيئتها بيئة سليمة، وهواؤها يكون أقرب للنقاء.

بعكس المدن التي لم تلتفت إلى مسألة البيئة، لم تلتفت إلى مسألة الحزام الأخضر، واحترام هذه الأشجار الكبيرة والعالية التي من شأنها أن تُنقِّي الجوَّ، وتُصفِّي البيئة، وتُطهِّر البيئة، نرى أنَّ أجواءها سيئة، يمكن أن تكثر فيها الميكروبات، أن تكثر فيها الفيروسات، يمكن أن تكثر فيها أشكالاً من السلبيات الصحية.

إذن، حتَّى الأشجار غير المُثمِرة هي لها فوائد أخرى، ومن أجل هذه الفوائد الأخرى، حرص الإسلام على أن يكون هناك سلام ما بين الإنسان وبين هذه الأشجار.

٤- رابعاً: السلام مع الماء

لم يقتصر المنهج الإلهي على مفردة السلام ما بين الإنسان وأخيه الإنسان، وما بين الإنسان والحيوان، وما بين الإنسان والنبات المثمر، وما بين الإنسان والنبات غير المثمر، وإنَّما تعدَّى إلى أكثر من ذلك، وإنَّما اتَّسع إلى مفهوم أوسع وأكبر وأعمق وأدق ألا وهو: السلام ما بين الإنسان وما بين كلِّ ما في الوجود، ويدخل في هذا الوجود: الماء أولاً، والحجر ثانياً.

لهذا نرى هناك تأكيداً في القرآن الكريم على موضوع الماء

وأهمية الماء، وكيف أنَّ الماء هو سبب من أسباب الحياة، يعني: لابدَّ من الحفاظ على الماء دائماً، والحفاظ هو صورة من صور السلام ما بين الإنسان وبين الماء، تبذيره صورة من صور العداء ما بين الإنسان والماء، تلويثه متعمِّداً صورة من صور العداء ما بين الإنسان وبين الماء.

٥- خامساً: السلام مع الجماد

هناك ضرورة وجود سلام ما بين الإنسان وما بين الجمادات، ولهذا الله ﷻ جعلها نوعاً من أنواع قدرته، ولهذا يذكر الجبال، يذكر السهول، يذكر الوديان، من جانب.

من جانب آخر: أنَّ هناك أحاديثاً عن النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وروايات عن الأئمَّة المعصومين(عليهم السلام) تُؤكِّد أنَّ كلَّ الوجود هو يُسبِّح ولكن لكلِّ واحد نوع من التسبيح، صورة معيَّنة للتسبيح، وفي ذلك أحاديث وروايات واضحة، تماماً نحن لا يمكن أن نُدرِك معناها، ولكنَّنا نؤمن بها، ولكنَّنا نعلم أنَّ الجمادات لها أهمية في موازنة الوجود ككلٍّ، ولهذا لابدَّ من التعامل معها باحترام، قبل ذلك وبعد ذلك أنَّ الجمادات هي خَلْق الله ﷻ، وما دامت خَلْق الله ﷻ لابدَّ أن يعيش الإنسان معها باحترام وسلام، وهي أُوجِدت من أجل الإنسان، وكلُّها أسباب لسعادة الإنسان، وكلّما يتطوَّر العلم أكثر يكتشف فيها ومنها أسباب لراحة الإنسان وسعادته.

إذن، مفردة السلام هي ليست مفردة عملية كيفية، وإنَّما المطلوب أن تكون مفردة ثقافية عقائدية عملية، وعندما نقول (عقائدية) يعني: مَن يعتقد باللهﷻ تشمله، مَن يعتقد بضرورة خدمة الوطن والولاء للوطن تشمله، مَن يعتقد بكرامة الإنسان وحقوق الإنسان تشمله.. عندما تكون مفردة السلام ثقافة، ممكن أن تكون مُنطلَقاً، وهذا المُنطلَق له عدَّة صور، له عدَّة أفراد، كان أحد العلماء إذا رأى أحد تلاميذه يُقلِّب أوراق الكتاب ولكن بسرعة وعدم اعتناء فلا يرتضي ذلك، وينزعج ويُلفِت نظر الطالب، وأنَّ هذا خلاف احترامك لما فيه، الكون كتاب مفتوح، الكاتب لهذا الكون هو ربُّ العالمين، ولهذا جاء في الآية الكريمة:-

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1]

هذه صفة من صفات الأُمَّة المؤمنة، الأُمَّة الإنسانية، أُمَّة السلام، أُمَّة الرحمة، وبعد هذا التفكُّر يصلون إلى نتيجة:-

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[2]

وجود كلِّ هذه الجمادات ليس بمسألة باطلة، وإنمَّا هناك ضرورة لها، هناك حاجة لها، لها فوائد، لها أهمية، فما دامت هي كذلك، لابدَّ أن نعيش معها وبها السلام.

---

[1] سورة آل عمران/آية/١٩١.

[2] سورة آل عمران/آية/١٩١.

٦- سادساً: السلام مع البيئة

المنهج الإلهي أكَّد على مفردة السلام ما بين الإنسان والبيئة التي تحيطه، حيث اتَّسع مفهوم السلام ليشمل البيئة كلّها.

كلُّ ذلك من أجل تحقيق السلام مع الكون كلِّه، والذي يُؤدِّي إلى تحقيق التعايش السِّلْمي ما بين الإنسان وكلِّ ما في الكون.

الخلاصة

١.الكون وعاءٌ كبير يضمُّ مجموعة كونية عناصرها: الإنسان والحيوان والنبات والجماد، فهو وحدة مُترابطة العناصر، لا يمكِن أن ينفكَّ أحدها عن الآخر، وإذا ما انفكَّ أحدها من مجموعة العناصر، فهذا معناه تدمير الكون وتدمير الحياة برُمَّتها.

٢. الكون لم يُخلَق عبثاً وبصورةٍ عشوائية، فاللهﷻ أوجد الكون بموجب نواميس غاية في الدِّقَّة، وأنَّ الإخلال بهذه النواميس يعني الإخلال بمعادلة توازن ووجود عناصر الكون وبالنتيجة تدمير سلسلة وجود الكون كله.

٣. اقتضت الحِكمة الإلهية أن يستمرَّ الكون إلى ما شاء اللهﷻ بشرط أن يتمَّ الحفاظ على عناصر الكون من الخَرَأب والدَّمار، لذا أصبح السلام مع عناصر الكون هو الضامن لديمومته، وبالنتيجة ديمومة حياة الإنسان والحيوان والنبات والجماد.

لبَّيكِ.. دعوةَ السلام

الإسلام العظيم بشريعته السمحاء، وبمنهجه المنسجم ليس مع الإنسان فحسب، وإنَّما مع الكون وكلِّ الكون، يُؤكِّد على الاهتمام بثقافة السلام.. وجعل أساس حمل رسالة السلام هي: ما بين الإنسان وأخيه الإنسان، من أجل أن يتثقَّف جميع أبناء المجتمع على ثقافة السِّلْم والسلام، ومن ثمَّ تكون هناك إنطلاقة من كلِّ أبناء المجتمع إلى بقية تدرُّجات السلام.

مسألة السلام ما بين الإنسان والإنسان الآخر هي ليست مسألة فردية، وإنَّما هي مسألة اجتماعية، وإنَّما هي مسألة بشرية، ولهذا المطلوب: أن يعمل الجميع من أجل أن يُحقِّق السِّلْم والسلام ما بينه وبين الإنسان الآخر، بالشكل الذي هو والآخرون يحمل ثقافة السِّلْم، ليس فقط فيما بينهم، والذي هو الأساس، وإنَّما يحملونها مع كلِّ مفردات الكون، يحملونها مع كلِّ الموجودات، يحملونها مع الإنسان أولاً، والحيوان ثانياً، والنبات ثالثاً، والماء رابعاً، والجماد خامساً، والبيئة سادساً.

بالتأكيد نحن ذكرنا الأساسيات، ولكن دائماً في حالة التطبيق تظهر الكثير من المفردات التي تحتاج إلى ثقافة السلام، ولكن الإنسان عندما يتثقَّف بثقافة السلام، تكون ممارسته لها هي الأصل

وممارسته لثقافة السلام مع المستجدات الحياتية مسألة طبيعية.

وعندما نُؤكِّد على أنَّ مفردة السلام الثقافية أو ثقافة السلام المطلوب أن تكون ثقافة مجتمعية وليست فقط ثقافة فردية، ممكن أن نستفيد ذلك من الآيات القرآنية التي تحثُّ على السلام وتعطيها معنىً إجتماعياً، ولهذا، تُؤكِّد بنداءات لكلِّ البشرية، لكلِّ المؤمنين بالدخول إلى السِّلْم والسلام.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١]

لهذا جاء النداء الإلهي ليس بصيغة الفرد (يا أيها الإنسان) وإنَّما جاء بصيغة الجماعة، أو المجموعة البشرية (يا أيها الذين آمنوا)، والدعوة الإلهية للسِّلْم والسلام تشمل كلَّ البشرية.

﴿وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢]

دائماً الإرادة الإلهية بالنسبة إلى أفراد البشرية والناس جميعاً، وحتَّى المؤمن منهم وغير المؤمن ليس هناك إجبار فيها، وهذا تكريم للإنسان: أنَّ اللهﷻ لم يُجبِره على شيء، وإنَّما جعله مختاراً، جعل ما يريده بإرادته، ما يحمله من فكر، من ثقافة، من قِيَم، من مبادئ، من إيمان، من شهامة، من غيرة، من شعور بالمسؤولية، من حبٍّ للآخرين، كلُّ ذلك بإرادة الإنسان.

---

[١] سورة البقرة/آية/٢٠٨.

[٢] سورة يونس/آية/٢٥.

الإرادة ليست مسألة نظرية، وإنَّما الإرادة بالنسبة للإنسان، (بالنسبة لممكن الوجود بشكل عام) هي مسألة عملية، حيث أنَّ هذه المسألة تختلف ما بين واجب الوجود وممكن الوجود.

واجب الوجود الذي هو الله ﷻ، إذا أراد شيئاً أن يقول له: (كن فيكون)... إرادته هي تُكوِّن العمل، هي تُصيِّر الفعل.

أمَّا الإنسان فليس كذلك، الإنسان إرادته لا تُصيِّر الفعل، إرادة الإنسان هي مرحلة دنيا، مرحلة أُولى لتصيير الإرادة إلى فعل، فالإرادة دائماً هي قريبة من مفهوم النظرية، ولكن نظرية مع اقتناع تُنتِج إرادة، عندما يصل إلى الإرادة يتمكَّن أن يعمل، تكون عنده الدوافع موجودة للعمل ولبذل الجهد، ولتفعيل الطاقات والقدرات التي يمتلكها، واستثمار ما لديه من عقل وفكر وبقية المواهب الإلهية.. كلُّ ذلك من أجل أن تكون ثقافة السِّلْم والسلام ثقافة مجتمعية.

ثقافة السلام.. فردية ثمَّ مجتمعية

هنا لابدَّ من التأكيد على أنَّه: ليست هناك ثقافة مجتمعية من دون أن تبتدِئ بثقافة فردية، كما هو الحال في الكثير من الأزمنة وكثير من المجتمعات، تبدأ الثقافة فردية ولكن بمقدار إيمان حامل هذه الثقافة، يعمل من أجل توضيحها وتفعيلها عملياً مع الآخرين، وبذلك تتَّسع رقعة ومساحة هذه الثقافة.

فعندما يمارسها مع الآخرين، سيشعر بسعادة، وسيشعر الآخر كذلك بسعادة واطمئنان، بمقدار شعورهم بالسعادة والاطمئنان لممارسة هذه الثقافة، يعملون من أجل توسيعها.

لهذا المطلوب الإلهي من أفراد المجتمع المؤمن البشري، من أفراد المجتمع الإنساني: أنْ يشاؤوا لحمل ثقافة السلام والتبنِّي لهذه الرسالة الإنسانية المقدَّسة، وعندما يعملون من أجل تبنِّي هذه الرسالة، عند ذلك يُثقِّفون أنفسهم بها ويعملون بها من أجل تطبيقها مع الآخرين وتثقيف الآخرين بها.

بمقدار إشاءة الأُمَّة بأفرادها لِحمل رسالة السلام، بمقدار إشاءة المجتمع لحمل رسالة السلام، بمقدار إشاءة البشرية والناس أجمع لحمل رسالة السلام، سيكونون قد اتَّجهوا إلى طريق الصراط المستقيم.

لأنَّ من أهمِّ المفردات التي مع السلام، وتصحبه هي مفردة "العدل"، لأنَّ في السلام عدم الظلم، في السلام عدم منع الآخرين من حقوقهم، في السلام عدم إجبار الآخرين على أشياء يرفضونها.

ولكن بالتأكيد لابدَّ من الالتفات إلى أنَّ ما يرفضه الإنسان الآخر:

مرَّة تكون مسألة شخصية، فليس من حقِّ أيِّ إنسان أن يُجبِره عليها.

ومرَّة تكون مسألة لها آثار سلبية مجتمعية، وتكون لها آثار

سيِّئة، وعلى صعيد كلِّ المجتمع، بالتأكيد هنا يأتي مبدأ النهي، والدعوة إلى الرجوع إلى التفكير السليم والثقافة السليمة والأسس الإنسانية السليمة، ولكنَّ المدرسة الإلهية حتَّى في هذا المجال تقول:-

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]

حتَّى إذا أردتَ أن تُصحِّح مسيرة خاطئ -(فرد أو جماعة)- المطلوب: أن تُصحِّحها ولكن بكلمة طيِّبة، وهذا ما تُشير إليه الآية:-

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

وإنْ كان هناك جدال، فالجدال لابدَّ أن يكون بالتي هي أحسن، إذا كان هناك نقاش فلابدَّ أن يكون هناك نقاش ليس فيه أيٌّ نوع من أنواع العداء مع الإنسان، يمكن أنَّ الشخص يختلف مع آخر في بعض الآراء، في بعض الأفكار، في بعض العقائد، في بعض المبادئ، ولكن اختلافه مع الفكر، مع الرأي، وليس مع الإنسان.

والفكرة والرأي لا يذهبان بذهاب الإنسان، وإنَّما الفكر لا يذهب إلاَّ بفكر، والرأي الفاسد أو غير الصحيح لا يذهب إلاَّ برأي صحيح مدعم، بالعلمية والموضوعية والدليل.

---

[1] سورة النحل/آية/١٢٥.

وهذا هو الفرق ما بين مفردة المجادلة والجدال وما بين مفردة الحوار...

دائماً الحوار يتمُّ -(وكما ذكرنا مراراً)- من أجل معرفة الآخر وليس من أجل تغيير الآخر، ولكن كلمة الجدال تعني هناك اختلاف بالرأي، اختلاف بالرأي ليس لمصلحة شخصية، وليس لمصلحة مذهبية وليس لمصلحة دينية، وليس لمصلحة قومية أو عرقية، وإنَّما لمصلحة إنسانية، وإنَّما لمصلحة وطنية، حتَّى في حالة الجدال يفرض المجادلة بالتي هي أحسن.

هذا بالإضافة إلى أنَّ إسلامنا الحبيب دائماً يعمل من أجل إبعادنا عن الجدال، وهناك آيات كثيرة في هذا المجال، وهناك أحاديث وروايات كثيرة في هذا المجال، وكأنَّ المطلوب حتَّى في حالة الإختلاف في الرأي، في المسائل الأساسية، عليه أن يُبيِّن رأيه، قناعة الآخرين مسألة ليست باختيارك ولا تعود لك... بكلِّ ذلك نريد أن نصل إلى نتيجة: أنَّ ثقافة السِّلْم والسلام لابدَّ أن تكون ثقافة مجتمعية، هذه الثقافة لا يمكن أن تكون ثقافة مجتمعية بصيغتها العملية، إلاَّ إذا كانت مترسِّخة في النفس، بمقدار عمق وجود الفكرة في نفس الإنسان، في داخل الإنسان، في قناعات الإنسان، في عقل الإنسان، في تفكير الإنسان، يتمكَّن أن يُجسِّدها في خارجه، وأن يُجسِّدها مع الآخر، وأن يُجسِّدها في حمله لرسالته، وأن يُجسِّدها وبكلِ هدوء.

كيف ننشر.. ثقافة السلام؟..

هناك -(من الأسس)- أساسان رئيسيان في نشر الثقافة السليمة لمفردة السلام مع الجميع:

الأساس الأول: هو اقتناعه وعمق اقتناعه بعمق الرسالة التي يحملها، بالشكل الذي تكون رسالته مشرَّبة في كلِّ عقله وفكره وتفكيره، مشرَّبة في نفسه وروحه.

الأساس الثاني: عدم التفاعل السلبي عند عدم الاستجابة، لأنَّ التفاعل السلبي في حالة عدم الاستجابة يعني: أنَّ الإنسان في داخله، تُوجَد نقاط ضعف في ثقافة السلام، إذن:

أولاً: مَن يعيش حالة السلام مع نفسه سيتمكَّن من حمل رسالته للآخرين بشكلها العملي.

ثانياً: مَن يعيش حالة السلام مع نفسه، يكون بعيداً عن التفاعلات السلبية في حال تعكُّر وصول طرحه للآخرين.

بالتأكيد أنَّ هذا الموضوع مهم وموضوع كبير في عمل كلِّ أصحاب الرسالات، وكلِّ حملة الرسالات، وخصوصاً إذا كانت الرسالة رسالة سِلْم وسلام، فهي بالوقت الذي تعطي كلَّ الاطمئنان والسعادة والراحة هي رسالة يصحبها الكثير من المشاق، ومن المتاعب، لكن هذه المسألة هي أساسية في تربية الإنسان لنفسه.

رسالة السلام.. طمأنينة وقوة

نرى أنَّ التربية الإلهية لسيِّد الخَلْق، لأشرف الأولين والآخرين من آدم إلى قيام يوم الدين، الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)، اللهﷻ دائماً يُطمئنه ويُشعره بالقوة، لأنَّ رسالته متشرِّبة بكل أجزائه، ويُؤكِّد له عدم ضرورة أن يضيق صدره.

هنا، ضيق الصدر:

أولاً: هو مسألة لا تتناسب مع ثقافة السلام، والمفروض هذا الإنسان هو يحمل ثقافة سلام.

ثانياً: سيكون هناك لضيق الصدر سلبيات على حامل الرسالة وليس لمن يحمل له الرسالة.

بعض الأوقات حالة ضيق الصدر تُبعد حامل الرسالة عن رسالته، يمكن هذا نراه ولو بشكل من الأشكال في بعض حملة الرسالة، عندما يصل إلى حالة يقول: لا فائدة من حمل رسالتي للآخرين.

إذن المطلوب دائماً: أن يعيش حامل رسالة السلام حالة التوازن في تصرفه مع الآخرين، نتيجة تصرفه مع نفسه بتوازن.

لهذا بمقدار ما نحمل رسالة السِّلْم والسلام إلى مجتمعاتنا، لابدَّ أن نُؤكِّدها في دواخلنا، ونُؤكِّدها في نفوسنا، في عقولنا، في تفكيرنا.

لِنشر ثقافة السلام.. مراحل

بهذا التقريب نفهم الآية الكريمة التي جاءت في سورة النور والتي تقول:-

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١]

حامل الرسالة أينما يذهب، رسالته معه، ولكن عندما يدخل أيَّ ميدان لحمل رسالته، لابدَّ أن يلتفت أولاً لنفسه، وأنَّ نفسه مدرَّعة محصَّنة بالرسالة التي يحملها، عند ذلك يكون أقدر على إنطلاقة رسالته، ولهذا الله ﷻ يقول لنا:-

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾

نفهم من الآية الكريمة: عدَّة أمور:

الأمر الأول: السلام الداخلي وضرورة السلام الداخلي.

الأمر الثاني: بعد السلام الداخلي: السلام مع الأقربين، مع من معك، مع أسرتك، دائماً السلام مع الأقربين يعطي صورة للآخرين تعكس جمالية السلام العملي، وكيف أنَّ الإنسان الحامل للرسالة، عليه أن يعطي الرسالة أولاً للأقرب، على قاعدة:-

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٢]

---

[١] سورة النور/آية/٦١.

[٢] سورة الشعراء/آية/٢١٤.

وعلى قاعدة:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1]

إذن، أيُّ مبدأ إلهي إنساني لابدَّ أن أتعامل به مع الأقربين، مع الأهل بشكل عملي، وأجعله ثقافة أساسية لهم، وبعدها أحاول أن أعمل من أجل توسعة هذه المساحة مع الآخرين.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

الآية الكريمة طرحت عدَّة مراحل للسلام هي:

المرحلة الأولى: (فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ) يعني: لابدَّ أن تكون ثقافة السلام في داخلك ثقافة عملية وثقافة عن اقتناع واضح، وهذا الاقتناع ممكن أن يتصيَّر إلى الخارج، وألاَّ تبتأس من السلبيات المحتملة لحملك لهذه الرسالة وألاَّ يضيق صدرك، وأن تتحمَّل لأنَّك تدعو إلى رسالة تعيش ضرورتها وتعيش أهميتها، ولهذا الْتَفِتْ إلى وجود السلام في داخلك، وأكَّد السلام في داخلك وبشكل دائم.

المرحلة الثانية: على الأقربين، على الأهل، من في البيت.

المرحلة الثالثة: وهذا من المعاني التي ذكرناها في تدرُّج مفهوم السلام، الإسلام يريد أن نشيع السلام عندما ندخل إلى أيٍّ

---

[1] سورة التحريم/آية/٦.

بيت حتَّى لو لم يكن فيه أحد، يعني: السلام مع كلِّ الموجودات في البيت، السلام مع البيت نفسه بما فيه من بناء.

أهل السلام.. لا عدائيون ولا عدوانيون

دائماً السلام يعني: اللاعداء واللاعدوان... فلا عداء على أحد إذا كان هناك أحد في البيت ولا عداون عليه.

العداء: يعني مسألة داخلية، دافع نفسي يُحرِّك مشاعر الإنسان نحو العدوان.

العدوان: يعني تصيير المسألة الداخلية إلى الخارج، فعندما لا يحمل ثقافة السلام في داخله بشكلها العملي، يعني: يحمل شيئاً من درجات العداء، فعندما يدخل البيت ويرى أثاثاً للبيت يمكن أن يعتدي عليه، عندما يدخل بيتاً ويحمل درجة من درجات العداء في الداخل، والنفس وَسْوست له بعض الأمور، لأنَّها ابتعدت عن اللهﷻ، ولم يلتفت إلى تربيتها، يمكن أنَّه يعادي حتَّى الحيطان، وهذا ما ذكرناه في السلام مع الجماد.

الآية الكريمة تريد أن تُربِّينا: أن نكون سلاماً في دواخلنا أولاً، وسلاماً مع الأقربين ثانياً، ومن ثمَّ شيئاً فشيئاً، سلاماً حتَّى مع البيت كجماد بما فيه من أثاث.

لهذا -(اليوم)- المعروف في كثير من مجتمعاتنا، هناك مَن يدخل إلى بيوت ويعبث فيها، عندما لا يلتفتون إليه أهلها.. هناك

من يدخل إلى بيوت ويغترُّ بها، ولهذا يحمل لهذا البيت نتيجة اغتراره به شيئاً من الضغينة، شيئاً من الحقد، شيئاً من الحسد على البيت.

المطلوب الإلهي: أن نعيش السلام كثقافة، وأن نُصيِّر هذه الثقافة خارجياً مع الإنسان الآخر، الأقرب فالأقرب، وحتَّى تصل إلى درجة السلام مع الممتلكات، السلام مع البيوت، السلام مع المكان الذي تدخل إليه، وأيُّ مكان كان.

تحية.. لكنها رسالة

عندما تقول الآية الكريمة:-

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

مسألة السلام مسألة ليست جبرية وإنَّما اختيارية، وسعادة الإنسان فيها اختيار، أمَّا المسألة الجبرية لا سعادة له فيها، ولهذا الملائكة مجبورون على ما يعملون، وكأنَّه ضمن تكوينهم أن يعملوا هذا، فلا ثواب ولا أجر، ولا يشعرون بما يشعر الإنسان عندما يكون مستقيماً، وعندما يكون حاملاً لرسالة إلهية.

لهذا يقول (**تَحِيَّةً**) وهذه التحيَّة التي هي ثقافة السلام تحيَّة طيِّبة تخرج من كلِّ قلبك.

مع نفسك: تخرج من كلِّ عقلك وفكرك، حتَّى تقتنع بها في داخلك اقتناعاً كاملاً.

مع الإنسان الآخر: تخرج من تمام نفسك، فكأنَّ ثقافة السلام التي تشرَّبت بها في داخلك تعطيها للآخرين، تعطيها بشكل عملي وليس بشكل نظري، ودائماً الجانب العملي هو الأهم من الجانب النظري، خصوصاً إذا عاشت المجتمعات نوعاً من أنواع الفتن، كما تعيشها مجتمعاتنا اليوم، الكثير من الكلام النظري غير مؤثِّر، وغير فاعل في الآخرين، ولكن عندما يكون هناك عمل ومعه أو بعده كلام يكون له مصداقية.

سعادتان.. بتحيَّة واحدة

عندما تقول الآية الكريمة:-

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾

هذه التحيَّة تُشعِرك بسعادة، براحة، بطيب، إذا كانت هذه التحيَّة، والتي تعني: حملك لرسالة السلام مع نفسك ومع الآخرين وتصل إلى الجماد، هذه الرسالة ستكون مباركة، من قبل ربِّ العالمين، من قبل ربِّ السموات والأرض، من قبل الله (تَعَالَى)، بمقدار تفاعلك الداخلي مع ثقافة السِّلْم والسلام، إيمانك به، إخلاصك له، الله يبارك لك عملك، ويجعل من عملك عملاً مثمراً منتجاً معطاءاً، ويكون عملك مصداقاً لقوله (تَعَالَى) عندما ذكر

الكلمة الطيبة:-

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[١]

وهل هناك كلمة طيِّبة ككلمة السِّلْم والسلام الذي دعانا اللهﷻ كبشرية وكمؤمنين إليها؟!... من أجل أن نحيا جميعاً حياة طيِّبة وحياة سعيدة، وأن نحيا جميعاً حياة توصلنا إلى التعايش السِّلْمي... ولهذا هي طيِّبة وهي مباركة.

طيِّبة: لأنَّ الإنسان يشعر دائماً بسعادة وبلذَّة عمله.

مباركة: لأنَّه عندما تكون له آثار خارجية بوصول رسالة وثقافة السلام إلى الآخرين، عند ذلك تتضاعف السعادة، عند ذلك يتضاعف مفهوم (**كَلِمَةً طَيِّبَةً**) في الآية الكريمة، وكلما تضاعفت السعادة ومفهوم (**كَلِمَةً طَيِّبَةً**) تتضاعف المباركة الإلهية، ولذلك يبقى يحمل هذه الرسالة، وتبقى سعادة باستمرار، وسعادة من يحمل معه هذه الرسالة، عند ذلك يشعر بسعادتين:

أولاً: سعادة حمله للرسالة.

ثانياً: سعادة الآخر الذي سعُدَ بها.

وبالتدريج كلما يسعد بها، سيحملها هو كذلك للآخرين، وهذا نوع من أنواع البركة الإلهية.

---

[١] سورة إبراهيم/آية/(٢٤-٢٥).

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

كلُّ ذلك من أجل الوصول إلى التعايش السِّلْمي.. فإلى تلبية عملية للدخول إلى السِّلْم كافَّة، وإلى تعايش سِلْمي عملي ما بين بني الإنسان جميعاً.

الخلاصة

١. السلام بين أفراد المجتمع موضوع اجتماعي متروك العمل به إلى إرادة الإنسان، فالمجتمع الذي يُريد أن يكون سعيداً في حياته، عليه أن يُنمِّي ثقافة السلام والمَحبَّة والمودَّة بين عناصره.

٢. لقد خاطب القرآن الكريم كلَّ البشر لِيعملوا بمنهج السلام والتعاون والمودَّة.

٣. لقد أوكل اللهﷻ أَمْر سعادة الإنسان إلى الإنسان نفسه، -(فهو أمر اختياري لا يُجبَر)- وهيَّأ له أسباب السعادة، والإنسان أدرى بمصلحته من غيره، والله أعرف بمصلحته من نفسه.

٤. لتطبيق مبادئ السلام والتعاون يحتاج الإنسان إلى عنصر الإرادة الخيِّرة البنَّاءة المُنتِجة الصالحة، حتى يتمكَّن من بناء نفسه ومجتمعه بصورةٍ صحيحة.

٥. بما أنَّ البشر يختلفون في أُسلوب تفكيرهم فمنهم مَن يتقبَّل ثقافة وسلوكية السلام، ومنهم مَن يرفضون ذلك، ومع أنَّ الموقف الرافض للسلام موقف سلبي يتنافى مع التوجيهات الربَّانية لكنَّ اللهﷻ يأمر عباده بالتفاهم بطرق عقلانية حوارية، أساسها السلام والاحترام مع الطرف الرافض للسلام.

٦. إنَّ سلوكية السلام التي يتبنَّاها الفرد والمجتمع، تُوصِل الإنسان إلى نتائج إيجابية تعود بالخير للجميع، وحتى في حالة اختلاف الرأي واختلاف المواقف، فإنَّ الجانب العُقَلائي، يُرجِّح تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصَّة، وبذلك يكون السلام هو الضامن لحقوق الجميع.

٧. إنَّ حَمل رسالة السلام وإيصالها للآخرين تتطلَّب الكثير من الصبر وتحمُّل سلبيات الآخرين كردَّة فعل مُتوقَّعة منهم، فربَّما موضوع السلام يكون أمراً غريباً على طباعهم وأمزجتهم، لذا يجب الصبر حتى تتولَّد القناعات عندهم.

٨. على الإنسان الناضج أن يتعلَّم اساليب السلام عن طريق التجربة الحياتية الناجحة منذ نعومة أظفاره، بدءاً: بالتعامل مع عائلته وفق مُتطلَّبات السلام، ومن ثم التعامل بصورة صحيحة مُسالِمة مع أصدقائه وأقاربه وجيرانه ومجتمعه وبيئته بكلِّ قِيَم السلام حتى مع الحيوان والنبات والماء والجماد.

السلام كالإيمان.. عقيدة وعمل

ما دُمنا نتحدَّث عن مفردة (**السلام**)، ما دُمنا نتحدَّث عن قيمة إيمانية اجتماعية وطنية إنسانية، عن قيمة تُعتبر من القِيَم الأساسية لإيماننا، لبناء مجتمعنا، ولتأصيل وطنيتنا، ولتكوين أنفسنا.

فالسلام ومنه السِّلْم -(كما أكَّدنا على ذلك مراراً)- هو مسألة أساسية في علاقتنا مع الله ﷻ، في علاقتنا مع المنهج الإلهي العملي، وفي علاقتنا مع الوطن وتأكيد انتمائنا، وفي علاقتنا مع الإنسان المجتمعي.

بتعبير آخر: في علاقتنا مع المجتمع، وكيفية تعاملنا مع الإنسان ضمن الجماعة، ومن ثمَّ كيفية تعاملنا مع الإنسان كفرد.

بيَّنَّا أنَّ هناك تأكيداً إلهياً على أنَّ كلَّ هذه الانطلاقات في هذه القيمة وضمن هذه القيمة الأساسية والرئيسية -(في علاقتنا مع الله ﷻ، وعلاقتنا مع الوطن، وعلاقتنا مع المجتمع، وعلاقتنا مع الإنسان)- لابدَّ أن تنبثق من داخل الإنسان، لابدَّ أن تنبثق من تكوينه لثقافته، والإيمان ثقافة، الإيمان ليس مسألة تقليدية، وإنَّما الإيمان اعتقاد وثقافة، والاعتقاد علم، والاعتقاد معرفة، فالمجتمع الإلهي الإنساني لا يُقلِّد في اعتقاداته، وإنَّما لابدَّ أن يعيش الاعتقاد

كمفردة أساسية آمنَ بها في داخله، ولم تفرض عليه.

لهذا قبل الإسلام كانت هناك اتِّجاهات كثيرة منها: الإيمان التقليدي، والذي يعني: الإيمان الموروث، يعني: الإيمان الذي تلقَّاه المجتمع من سلفه، من دون أن يستوعبه عقله، ومن دون أن يعرضه على قلبه، ولهذا كانوا يقولون ضمن هذا الاتِّجاه التقليدي في العقائد: هكذا وجدنا آباءنا، وكأنَّهم لم يعرضوا ما وجدوا عليه آباءهم على عقولهم، ولا على قلوبهم، ولو كانوا قد عرضوه لبيَّنت عقولهم لهم فساد ما كان عليه آباؤهم، ولو عرضوه على قلوبهم لأنكرته قلوبهم.

لهذا هناك آيات قرآنية في باب الحوار تقول:-

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[1]

نتيجة وجود معرفة في داخلهم ضمن فِطرتهم، ولكن الفِطرة دائماً تحتاج إلى رعاية وإلى اهتمام وإلى بيئة صحيَّة، من أجل ألاَّ تتلوَّث.

كذلك مفردة السلام مفردة أساسية في إيماننا وفي علاقتنا مع الله ﷻ، وفي علاقتنا مع مجتمعنا، وفي علاقتنا مع الوطن، وفي

---

[1] سورة الزمر/آية/٣٨.

تعاملنا مع الإنسان الآخر، هذه المفردة بالتأكيد أنَّها جاءت في كلِّ الرسالات السماوية، وجاءت ضمن كلِّ الديانات الإلهية، وهناك الكثير من النصوص التي ذُكِرت عن أنبياء الله(عليهم السلام) كعيسى وموسى وكذلك بقية الأنبياء والمرسلين.

إذا حلَّت الجاهلية.. انعدم السلام

لهذا عندما جاء الإسلام ونزل المنهج الإلهي، رأى أنَّ الكثير من المجتمعات هي بعيدة عن مبدأ السلام وثقافة السلام، وعاشت المجتمعات -(نتيجة ابتعادها عن السماء وعن الرسالات)- لفترات طويلة عاشت مجتمع الغابة، القويُّ فيه يأكل الضعيف، ويأكل الحاكم فيه المحكوم، والمالك يأكل فيه المملوك، والكبير يأكل فيه الصغير، والرجل يأكل فيه المرأة.

الإسلام جاء من أجل تغيير واقعي وليس من أجل تغيير شكلي، ودائماً التغيير الواقعي لا يمكن أن يحصل وأن يتمَّ إلاَّ من داخل الإنسان.

عندما نستعرض مجتمعات الغاب قبل الإسلام هي صورة ولكن هذه الصورة من الممكن أن تتكرَّر دائماً، بتكرُّر ثقافتها، وبتكرُّر قِيَمها.

لهذا ذكرنا في أحد كتبنا: أنَّ مسألة الجاهلية ثقافة وليست زمن، فحيثما وُجِدت هذه الثقافة توجد الجاهلية، وكلمة الجاهلية

جاءت نتيجة الجهل، فكلما يكون جهلاً تكون جاهلية، عندما يعمُّ الجهلُ المجتمعَ أو طبقةً كبيرةً من المجتمع تكون هناك جاهلية، وتتغيَّر القِيَم، تتغيَّر المبادئ، تتغيَّر المنطلقات، تتغيَّر الأهداف، عند ذلك تتغيَّر العلاقة مع الله ﷻ، تتغيَّر العلاقة مع الإنسان، تتغيَّر العلاقة مع المجتمع، تتغيَّر العلاقة مع الوطن.

لهذا الإسلام الحبيب العظيم جاء من أجل أن يُصحِّح بعض الأخطاء التي كانت عليها البشرية وأن يضعَ أسس جديدة، مفاهيم جديدة، قِيَم جديدة، وكلُّ هذه المفاهيم والقِيَم هي إلهية، ولكن نحن عندما نقول إلهية يعني: إنسانية، لأنَّ التشريع الإلهي إنَّما جاء من أجل الإنسان، وسعادة الإنسان، وكرامة الإنسان، وحقوق الإنسان، ولهذا لا يمكن أن نفهم تشريعاً إلهياً من دون الإنسان وحقوق الإنسان.

المسلمون.. هم الهادفون في الحياة

الإسلام الحبيب التفتَ إلى مسألة أساسية، لأنَّه من خالق الإنسان: أنَّ القِيَم لابدَّ ألاَّ تفرض، وأنَّ القِيَم لابدَّ أن تصدر من الداخل، والقيم لا تصدر من الداخل إلاَّ بعد الإيمان بها، عند ذلك تصدر من الإنسان، وتكون منطلقاً له وهدفاً إليه، عند ذلك تصدر من الإنسان ويبقى متمسِّكاً بها.

أيُّ عمل من دون إيمان داخلي، يمكن أن يُؤدِّيه الإنسان ولكن

لا يستمر عليه... والمطلوب: لابدَّ أن يستمر عليه، وكذلك أن يتحمَّل من أجله ما في طريق الإصلاح وفي طريق البناء من عقبات، من متاعب، من كدح حسب التعبير القرآني.

﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيْهِ﴾[١]

لابدَّ أن يتحمَّل كلَّ ذلك من أجل تحقيق مبدأ إلهي، هو: ضرورة أن يعيش الإنسان دائماً الهَدَفية وابتعاده عن العَبَثية.

الهَدَفية: هي إقامة دنيا إلهية يعني إنسانية.. الدنيا الإلهية يعني:-

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُوْنِ﴾[٢]

العبادة بمعناها العام: أنَّ الإنسان يرى في كلِّ شيء وقبل كلِّ شيء وبعد كلِّ شيء ربَّ العالمين، يرى المنهج الإلهي، يرى حقوق الإنسان في كلِّ شيء، يرى كرامة الإنسان في كلِّ شيء، يعني: كيفية علاقته مع الإنسان في كلِّ شيء، يعني: يرى تكريم اللهﷻ للإنسان وكلِّ إنسان في كلِّ شيء، يعني: دائماً يعيش حياة فرد، يعني حياة بشرية، وقتل فرد، يعني قتل بشرية.

فهو يعيش العلاقة مع الإنسان، نتيجة العلاقة مع اللهﷻ، إذن هو دائماً في حالة عبادة، ضمن كلِّ مجالات عمله واختصاصه، ما دام هو ذاكراً للقِيَم الإلهية، ويترجمها في علاقته مع الإنسان

---

[١] سورة الإنشقاق/آية/٦.

[٢] سورة الذاريات/آية/٥٦.

الآخر، فرداً ومجتمعاً، أرضاً ووطناً.

كأنَّ المطلوب هو أكثر من ذلك، فعلاقة الإنسان مع الله ﷻ والتي يُفرَض أن تكون عبادة مستمرة وذكر مستمر، والتي من أجلها خُلِقَ الإنسان، هي: إقامة حياة، استجابة عملية للمنهج الإلهي ضمن مدلول الآية الكريمة التي تقول:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]

إذن، هي علاقة ما بينه وبين الإنسان الآخر، علاقة ما بينه وبين الحيوان، علاقة ما بينه وبين النبات، علاقة ما بينه وبين الماء، وعلاقة ما بينه وبين الجماد... يعني: علاقة ما بينه وبين الوجود، الذي هو دائماً تسبيح لله ﷻ.

إذن، سبب وجوده هو: العبادة لله ﷻ، ومن أُسس العبادة لله ﷻ: مفردة السلام، التي لابدَّ أن يُؤمِن بها، وكما بيَّنَّا من أنَّ السلام اسْم من أسماء الله ﷻ، يعني: مسألة عقائدية، والمسألة العقائدية لابدَّ أن نؤمن بها عملياً، وليس أن نُؤمِن بها فقط نظرياً، وأن أترجمها في سلوكي وفي أخلاقي، هذا الإيمان العملي وترجمته في سلوكي وأخلاقي، من أجل أن أبتعد عن العَبَثية في الحياة الدنيا، إلى الهَدَفية المطلوبة في الحياة، لابدَّ أن أحمل هذه القيمة الإلهية بدرجة من الإيمان قويَّة، حتَّى أتمكَّن أن أجسِّدها في علاقتي

---

[1] سورة الأنفال/آية/٢٤.

مع الآخر، وحتَّى أتمكَّن أن أعطيَها للآخر.

لهذا ليس عَبَثَاً أنَّ الآية الكريمة تُؤكِّد على أهمية السلام على الأنفس، يعني: لابدَّ أن تعيش السلام في داخلك مُؤمِناً به إلى درجة أنَّك تُسلِّم على نفسك، وبذلك نعطي صورة أوضح للآية الكريمة التي تقول:-

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]

دائماً هناك الكثير من المفردات تستعمل لفظياً ولا تستعمل عقائدياً، ما يُسمُّونه أهل تجارة السياسة: ألفاظاً وكلمات خطابية، ودائماً يقصدون من الألفاظ الخطابية يعني: الألفاظ الفضفاضة، يعني: فقط شعارات... فهي لم تدخل إلى أعماقهم، ولهذا لم يترجموها في سلوكهم وأعمالهم وتصرفاتهم وعلاقاتهم فيما بينهم، وعلاقاتهم فيما بينهم وبين الناس ككلٍّ والمجتمع.

وعلى العموم أردنا بذلك توضيح صورة عن كيفية السلام مع النفس، وكيف لابدَّ أن يصير السلام مع النفس هو مُنطلَق للسلام مع الآخر ومُنطلَق لإيصال السلام إلى الآخر، فهناك مرحلة لتعاملي أنا مع الآخر، وهناك مرحلة أكبر ومرحلة أهم وهي إيصال هذه الثقافة للآخر:

---

[1] سورة النور/آية/٦١.

أولاً: لابدَّ أن أُوصِلها بشكلها العملي وهو ضمن تعاملي مع الآخر.

ثانياً: بعد ذلك لابدَّ أن أعمل من أجل تثبيت قناعاتي الشخصية لهذه القيمة الإلهية الإنسانية عند الآخر.

نفوس.. أحياها السلام

عندما تقول الآية الكريمة:-

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

بهذا السلام على النفس فإنَّك تُحَيِّيها، بهذا السلام على النفس فإنَّك تعطيها جرعة تغذية قويَّة، بهذا السلام على النفس، فإنَّك تضعها في موضعها، تضعها في المكان الذي من أجلها خُلِقت وأُوجِدت، ولذلك فإنَّك تُحييها.

كأنَّ النفس من دون سلام نفس مَيِّتة، نفس جامدة، نفس وجودها وعدمها سواء، بالتأكيد إنَّ وجودها الخارجي سيكون عدماً لأنَّ وجودها بالأساس هو سلبي، فتكون سالبة بانتفاء الموضوع، ولهذا تعبِّر الآية القرآنية بعد (**فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ**)، من معاني كلمة (**تَحِيَّةً**) أنَّك تضع الحياة العملية فيها، تُفعِّل هذه النفس، تُوجِّه هذه النفس، تُغذِّي هذه النفس، تُربِّيها على التربية الإلهية والقِيَم

الإلهية، ودائماً أساس القِيَم الإلهية والتربية الإلهية: السلام.

حيث أنَّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في بعض أقواله ومنهجه التربوي للصغار يقول لولده:-

﴿إنَّما قلب الحَدَث كالأرض الخالية، ما أُلقيَ فيها من شيء قبلته.. فبادرتُك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبّك﴾

قول الإمام عليه السلام يربطنا بآية قرآنية وهي:-

﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1]

حيث أنَّ الأرض ينبت فيها الزرع المُثمِر واليانع والجميل، الإمام عليه السلام يُشبِّه النفس كالأرض، فالماء ينعشها، ويفتِّح مساماتها، ويجعل فيها ثمرات أو قابلية لإعطاء الثمرات.

كذلك السلام بالنسبة للنفس، هو الماء الذي ينعش النفس ويبعث فيها الحياة، الأرض فيها استعدادية العطاء، ولكن تحتاج إلى ماء حتَّى تعطي، النفس فيها استعدادية الخير وكلِّ الخير والسلام وكلِّ السلام، ولكن تحتاج إلى عطاء، إلى تثبيت، إلى تأكيد، إلى صقل، إلى تنمية.

لهذا، السلام بالنسبة للنفس حياة، هذه الحياة ستكون حياة بالسلام طيِّبة، سعيدة.

---

[1] سورة الحج/آية/٥.

المباركة الإلهية.. مظلّة للسلام

من مفردات السلام المرتبط مع اللهﷻ إيمانياً، ومع الإنسان في التعامل معه كخليفة للهﷻ، ومع الوطن كهوية، ومع المجتمع كحقوق، هذا النوع من السلام العملي دائماً يبعث ثقافة الأمل والتفاؤل، مَن يحمل ثقافة السلام ويعمل من أجلها، مَن يترجم ثقافة السلام في حياته مع الآخر، ويعمل من أجل إيصال هذه الثقافة للآخرين، دائماً يرى النور أمامه، وعندما يرى النور أمامه لابدَّ أن يعيش الأمل والتفاؤل، يعيش النور أمامه مع كلِّ العقبات.

لهذا أكثر من كان يرى النور أمامه النَّبيُّ الأعظم محمَّد(صلى الله عليه وآله وسلم) مع كلِّ العقبات التي يراها، ومن ثمَّ كلُّ المصلحين من أنبياء وأئمَّة وصحابة وصالحين وكلُّ حملة الرسالة، ولهذا يعيش نتيجة السلام: حياة طيِّبة ومملوءة بالسعادة، ومن ضمنها ومن مفاهيم السعادة: الأمل والتفاؤل... لأنَّه لا سعادة من دون أمل.

ومن أجل القدرة على إستمرارية هذه الحياة الطيِّبة مع الأمل والسعادة، تحتاج هذه النفس التي سلَّم عليها صاحبها، والتي هي أمانة عنده، تحتاج إلى مباركة إلهية، تحتاج إلى أن يعيش الإنسان دائماً (لا قوة إلاَّ بالله)، تحتاج أن يعيش الإنسان وبشكل دائم (لا حول ولا قوة إلاَّ بالله العليّ العظيم).

فالإنسان دائماً وخصوصاً عند الاستمرار في حَمْل الرسالة،

يحتاج إلى الاستمرار في المُباركة الإلهية، من أجل أن يستطيع المواصلة، ومن أجل أن تُثمِر.

أقول: أنَّ المباركة الإلهية موجودة ولكن بقي علينا: هل نحن ظروف قابلة لاستيعاب المباركة الإلهية؟!.. علينا أن نعمل بالسلام من أجل أن نكون ظروفاً قابلة لنزول الألطاف والبركات الإلهية، حتَّى نكون دائماً فعَّالين ومؤثرين.

ليكن السلام.. رفيقنا الدائم

نعود إلى الآية الكريمة، ونحاول أن نستذكر ما بيَّنَّاه ونحن نقرأ الآية الكريمة، يقول (سُبْحَانَهُ وتَعَالَى):-

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

وَرَدَ في بعض الأقوال المباركة في تفسير هذه الآية:-

﴿إذا دخل الرجل منكم بيته فإن كان فيه أحد يُسلّم عليهم، وإن لم يكن فيه أحد فليقل: السلام علينا من عند ربِّنا، يقول الله: (تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً)﴾

هذا القول المبارك يُؤكِّد بعض معاني ما بيَّنَّاه.

(السلام علينا من عند ربِّنا): كأنَّ هذه نتيجة إيماننا بالله وبأسمائه الحسنى والتي منها السلام فأعطانا هذه الكرامة، وثبَّتنا

بهذه المزية، التي نعيش بها حياة طيِّبة ونحملها للآخرين بحياة طيِّبة مباركة.

وَوَرَدَ في قول مبارك آخر في تفسير هذه الآية المباركة:-

﴿(فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ): هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل ثمّ يردُّون عليه فهو سلامكم على أنفسكم﴾

كأنَّ القول الأول في حالة عدم وجود أحد في البيت، ولكن المطلوب كذلك السلام، لأنَّ مفردة السلام يفرض أن تكون دائماً مع الإنسان، سواءاً مع نفسه تأكيداً لها، تربية لها.. أو مع الآخرين، فمرَّة يكونون بشراً، ومرَّة يكونون حيوانات، ومرَّة يكونون نباتات، ومرَّة يكونون مياهاً، ومرَّة يكونون جمادات، السلام مع الوجود ومع ما فيه.

وَوَرَدَ في قول مبارك آخر:-

﴿إذا دخل أحدكم بيته فليُسلِّم، فإنَّه ينزله البركة وتُؤنسه الملائكة﴾

كأنَّ القول المبارك يريد تثبيت أموراً:

الأمر الأول: هو مواصلة العلاقة مع الله ﷻ، سواءاً مع وجود الآخر أو مع عدم وجود الآخر.

الأمر الثاني: تربية النفس، وأنَّ الإنسان لابدَّ أن يكون ذاكراً لله ﷻ في الخلاء والملأ، وأنَّه بحاجة إلى ذكر الله ﷻ دائماً سواءاً كان بين الآخرين أو كان وحده.

الأمر الثالث: أنَّ مفردة السلام لابدَّ أن تكون دائماً معه، وأن تصحبه في كلِّ شيء، السلام بمعانيه المُتعدِّدة، السلام بمعنى: واجب الوجود، الذي هو الله، السلام بمعنى: ثقافة التعامل مع المفردات الموجودة في الكون، السلام كلفظ، ودائماً الإنسان في حالة الخلاء يحتاج إلى ذكر الله ﷻ أكثر، يمكن أنَّ الشيطان يوسوس للإنسان في وقت الخلوة، حيث يعتقد أنَّه لا يراه أحد، ولهذا يحتاج أن يذكر الله ﷻ أكثر، ومن جملة ذكر الله ﷻ هو: ذكره للسلام، وكيف أنَّ مفردة السلام هي اسْم إلهي، وكيف أنَّ مفردة السلام خُلُق لابدَّ أن يُطبَّق في المجتمع، وكيف أنَّ مفردة السلام أساس لتربية نفسه.

وضمن مفردة السلام لتربية نفسه هو: إذا دخل بيتاً ولم يكن فيه أحد، ولكن هو يبدأ دخوله بالسلام يعني: سيكون تصرفه هو السلام مع كلِّ موجودات البيت... فإذا كان ابتداؤه بالسلام، فإنَّ البيت سيكون مقرَّاً ومنزلاً للبركة.

البركة أدنى معانيها: السلام، يعني: أن يسلم البيت، ومن ثمَّ ينمو في عطائه، ينمو في خيره، ينمو في شعوره بالمسؤولية، ينمو في إحساسه بالآخرين، طبعاً نمو البيت هو نمو من فيه، ولهذا يقول القول المبارك:-

﴿إذا دخل أحدكم بيته فليُسلّم، فإنَّه ينزله البركة وتُؤنِسه الملائكة﴾

دائماً العمل الذي يُقصَد به وجه الله تكون الملائكة حافَّة به وبعامله، ولهذا طالب العلم تحفُّه الملائكة من مسكنه إلى مدرسته، تستغفر له الملائكة، كلُّ العلوم النافعة لا يختصُّ بعلم معيَّن.

كذلك المتعلِّم عندما يكتب أيَّ علم نافع في كثير من الأحاديث والروايات تحفُّه الملائكة، الطالب تحفُّه الملائكة، المعلِّم تحفُّه الملائكة.

بالتأكيد وجود الملائكة وجود تثبيتي، وجود الملائكة وجود تقوية، هنا وجود الملائكة وجود تأكيد الأساس الذي هو: السِّلْم والسلام، وتفعيل هذا الأساس في السلوك والعمل، والقدرة على إيصال هذا الأساس الإلهي إلى أفراد المجتمع وكلِّ المجتمع، بكلِّ أطيافهم، بكلِّ ألوانهم، بكلِّ أشكالهم، بكلِّ صورهم، بكلِّ ثقافاتهم، بكلِّ اعتقاداتهم، من أجل أن يصل المجتمع إلى مبدأ التعايش السِّلْمي.

فنزول البركة ممَّا يدفع للاستمرار ومباركة العمل، كثرة ثمرات العمل ووجود الملائكة ممَّا يُقوِّي العامل الذي يعمل الخير، والذي يعمل من أجل السلام، كلُّ ذلك لأهمية الوصول إلى التعايش السِّلْمي.

الخلاصة

١. إنَّ تطبيق التعليمات الإلهيَّة يعكس عُمق فهم العقيدة الإيمانية، وتعاليم الإسلام الحنيف، على مستوى العقيدة والتشريع والسلوك، كما أنَّ الإسلام يُؤكِّد على قضية جوهرية، هي إشاعة السلام بين أعضاء المجتمع، للوصول إلى الهدف السامي الذي يُنشِده هذا الدين المبارك، ألاَ وهو إقامة أقوى الوشائج والعلاقات الاجتماعية، بين أفراد المجتمع ومكوِّناته، لِيكون المجتمع قوياً مُحصَّناً منيعاً بوجه أيِّ محاولة يحاول أعداء الإسلام القيام بها، لزعزعة وجود الإسلام وقِيَمه وثقافته وروابطه الاجتماعية.

٢. لكي يُحرِّك الإسلام العزيز حالة الجمود الفكري التي تبدو بصور مختلفة، منها البقاء على معتقدات الآباء والأجداد، دون إحداث أي تغيير إيماني عليها، تحت ذريعة:-

﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [١]

بَيْدَ أنَّ الإسلام زعزع كل تلك المُخلَّفات المُعتقديَّة، وجاء بتشريعات غايةً في الرُّقِي والتقدُّم لِيسعد الإنسان في ظل تلك

[١] سورة المائدة/آية/١٠٤.

التشريعات الإنسانية العظيمة.

٣. لمْ يُفرِّط الإسلام المُبارك بقضية الفِطرة البشريَّة التي فطَر اللهﷻ عليها نفوس الخلْق، وهي الأُسس العُقلائية الصحيحة، التي يرجع إليها الإنسان عندما يحتاج إلى مُقارنة بين المواضيع البديهية، لكي يُفرِّق بين الحقِّ والباطل، بين الظلم والعدل، بين الكفر والإيمان، بين التوحيد والشرك، ومن هنا دخلت مفردة السلام في قاموس الفِطرة الإنسانية، فأصبح السلام هو الفيصل بين حالة الإيمان وحالة الكفر أوالـ(لا إيمان)، وعلى الإنسان أن يختار بين السلام والإيمان، وبين الكفر والعدوان، بين حبِّ الوطن وبين الضياع بلا وطن.

٤. لقد كانت العلاقات الاجتماعيَّة قبل الإسلام يحكمها مَنطِق القوَّة الغاشمة، فالقويُّ يأكل الضَّعيف، والرَّجُل يُذِلُّ المرأة، والحُرُّ يحتقر العبد، فكانت مهمَّة الإسلام المجيد محو هذه الرواسب الاجتماعية الجاهليَّة الشاذَّة، القائمة على أساس البغضاء والمُنكَر والبغي، وأن تحُلَّ محلَّها روح السلام والتسامح والمحبَّة والتعاون.

٥. عندما يُؤمِن الإنسان بوجود الخالقﷻ، فإنَّ آفاقه تتوسَّع، ومُدرَكاتهُ تستنير وتتشبَّع بقِيَم السلام والتعاون والأُخوَّة والإنسانية، وعندما يُجسِّد الإنسان علاقته الإيمانية مع الخالقﷻ، يبدأ باستشعار كرامة الآخرين، ويبدأ بتحسُّس معاناة الآخرين، وهذه

الخطوة الأولى التي تدفع الإنسان بالاندماج بمجتمعه وشعبه ووطنه، ومن هنا تبدأ رحلة الإيمان.

٦. إنَّ العلاقة الإيجابية الإيمانية مع الله ﷻ تُشكِّل الحلقة الأولى التي تُنتِج كلَّ وشائج الخير التي يحتاجها الإنسان في حياته. ومن الناحية العملية، فبمقدار ما يتَّجه الإنسان نحو الله ﷻ، فإنَّه يبتعد عن الشيطان، ويبتعد عن الشَّرِّ والرذيلة، وتتوسَّع آفاقه الخيِّرة، لِتشمل كلَّ مُفردات الحياة الطيِّبة الكريمة.

٧. الحَلَقة الثانية من علاقة الإنسان الإيجابية مع الله ﷻ، تتجسَّد في إيصال الثقافة الإيمانية للآخرين بطريقين هما:

الأوَّل:- إيصالها بالشكل العملي السلوكي التطبيقي، من خلال التعامل الإيجابي مع الآخر.

الثاني:- العمل على ترسيخ تلك الثقافة الإيمانية لكي تتحوَّل إلى قناعات إيمانيَّة إنسانية، لا يمكن للإنسان المستقيم، التَّخَلِّي عنها، بأيِّ حالٍ من الأحوال.

٨. النفس البشرية بدون سلام، تكون فاقدة للحياة، عاجزة عن التعامل مع الذات ومع الآخرين، ولكن عندما تتعامل وتتفاعل بالتحيَّة، فإنَّها تتفاعل مع الحياة الإنسانية والقِيَم الإلهية.

٩. إذا استطاع الإنسان أن يُترجِم ثقافة السلام عملياً في حياته، فإنَّه سيُحرِّك هذا التوجُّه في نفوس الآخرين، وبذلك سيكون كالنبراس يُنير الطريق للآخرين بكلمة السلام والمَحبَّة والمَودَّة.

١٠. إلقاء السلام يتلازم مع الإنسان ويستطيع التعبير عنه بعدَّة صور، فيستطيع إلقاء السلام على الآخرين، ومع الموجودات الأخرى، ويستطيع التعامل بسلام مع الحيوانات ومع النباتات ومع المياه ومع الجمادات، فيملأ السلام وجود ذلك الإنسان المتعامل معه، بكلِّ عواطفه ومشاعره وأحاسيسه.

وآخر دعوانا أن

الحمد لله ربِّ العالمين

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
تمهيد	٩
الفصل الأول	١٣
المبحث الأول	١٥
السلام.. وبناء الحياة	١٧
الابتداء بالسلام.. أدب وثقافة	١٧
كلُّ الديانات.. شعارها السلام	٢٧
مجالس.. المغفرة	٢٩
الخلاصة	٣٣
المبحث الثاني	٣٥
السلام.. والشعور بالمسؤولية	٣٧
مغفرة.. يجلبها السلام	٣٧
ما بين.. المغفرة والشعور بالمسؤولية	٤٣
الخلاصة	٤٥
المبحث الثالث	٤٧
السلام.. مسؤولية وليس مزاجية	٤٩
ماذا.. يحبُّ الله؟!..	٥٠
السلام.. تصنعه العدالة	٥١
بيوت.. عَمَّرها السلام	٥٤

عدم السلام.. غربة وانحراف	٥٦
السلام.. مرايا الرحمة الإلهية	٦١
التعارف.. غايته السلام	٦١
شريعة.. السلام والرحمة	٦٥
بالسلام.. نبني حياة إلهية	٦٨
البدء بالسلام.. شعار الإنسانية	٧١
السلام.. ثقافة لا عادة	٧٦
الخلاصة	٧٩
المبحث الرابع	٨١
كونٌ.. تَطَلَّعَ للسلام	٨٣
١- أولاً: السلام مع الإنسان	٨٣
٢- ثانياً: السلام مع الحيوان	٨٣
٣- ثالثاً: السلام مع النبات	٨٧
٤- رابعاً: السلام مع الماء	٩٠
٥- خامساً: السلام مع الجماد	٩١
٦- سادساً: السلام مع البيئة	٩٣
الخلاصة	٩٤
لَبَّيْكِ.. دعوة السلام	٩٥
ثقافة السلام.. فردية ثمَّ مجتمعية	٩٧
كيف ننشر.. ثقافة السلام؟!..	١٠١
رسالة السلام.. طمأنينة وقوة	١٠٢
لِنَشْرِ ثقافة السلام.. مراحل	١٠٣
أهل السلام.. لا عدائيون ولا عدوانيون	١٠٥

تحيَّة.. لكنها رسالة	١٠٦
سعادتان.. بتحيَّة واحدة	١٠٧
الخلاصة	١١٠
السلام كالإيمان.. عقيدة وعمل	١١٣
إذا حَلَّت الجاهلية.. انعدم السلام	١١٥
المسالمون.. هم الهادفون في الحياة	١١٦
نفوس.. أحياها السلام	١٢٠
المباركة الإلهية.. مظلَّة السلام	١٢٢
ليكن السلام.. رفيقنا الدائم	١٢٣
الخلاصة	١٢٧
الفهرس	١٣١

سلسلة كتب ومؤلَّفات سماحة المَرجِع الديني آية الله الفقيه السيِّد حُسين الصدر (دام ظلُّه)، فيما يخصُّ مفاهيم السلام والتعايُش السِّلمي والمواطَنة الصالحة في إطار العراق الواحد المُوحَّد.